فلسفة مريض نفسي -2-

فلسفة مريض نفسي 2

واحد – خمسة

إدجرفور العباس

جَمِيعُ الحُقُوق مَحْفُوظَة للمؤلف

عنوان الكتاب: فلسفة مريض نفسي -2-
المؤلف: إدجرفور العباس

© الماهر
للطباعة و النشر و التوزيع

تعاونية الفلاح، العلمة ولاية سطيف
البريد الإلكتروني: dar.elmaher@outlook.fr
الهاتف الثابت: 036.48.00.17
النقال: 0795670044
واتساب:00213795670044

978-9931-268-96-6 :ISBN
03-2022 :D.L

إهداء المؤلف:

أهدي هذه الرواية ل... صحيح! لمن سأهديها؟ لم يعد أحد يبالي بالروايات، سواك أيها القارئ، تنوي إكمالها حتى النهاية، لذا أهديها لك يا أجمل قارئ.

(وأتوجه بالشكر إلى المحمدين الذين صنعا غلافا لهذين الجزأين)

إهداء الراوي

أهدي هذه الرواية لعائلتي أولا ثم لكل من يحمل في قلبه مثقال ذرة حب اتجاهي. أهديها لكل صديق، قريب أو بعيد، كبير أو صغير. أهديها لتلك الأشباح الغامضة والوحوش الحامضة –هاهاهاها أردت جعلها على القافية فحسب–.

"أهديها لك أنت يا صديقي."

مقدمة المؤلف

-إذا كنت لا تفرق بين المؤلف والراوي فَأَعِدْ الكتيب إلى مكانه.

-أعيد وأكرر، شخصيات الرواية حقيقية لكن قصصهم خيالية، والرواية برمتها من نسج الخيال فلا تدعها تؤثر عليك .

-المقدمة في الجزء السابق تنطبق على هذا الجزء أيضاً.

-لا أحد لديه الحق في الانتقاد إلا من لم يقرأ هذه الجملة.

-سأكذب عليك لو قلت أن هذا الجزء أخذ من نفسيتي شيئا؛ أكملته في ظرف شهرين رغم المشاغل والامتحانات؛ هذا ليس فخرا بقدر ما هو عذر لما ستراه من ركاكة في التعبير.

-كنت أبغِّض صديقا قديما لي في الروايات بحكم أنها مضيعة للوقت لا غير، وأنا الآن أؤلف فيها! أود أن أقول له: "صانع السم لا يتعاطاه."

-كنتَ محتارا حول تسمية الرواية ب "فلسفة مريض نفسي" ولكنك الآن تعرف الجواب بعد أن قرأت الجزء الأول، كذلك الأمر مع "واحد - خمسة".

الآن يمكنك البدء في كميات كبيرة من الملل والبساطة.

مقدمة الراوي

هذا المؤلف سبقني في الإهداء والمقدمة وكأن هذه القصة من نسج خياله، سأجعله يدفع الثمن غاليا؛ لكن فيما بعد.

مرحبا عزيزي القارئ

أظن أن الشطر الأول من قصتي لم يرقك كثيرا، ذلك أني حكوتها لصديق لي فهرول يعيدها على لساني كمن رأى جنا أمامه، بالطبع لن تروقك حكاية مسرع مستعجل. رغم هذا ما رأيك أن تسمع القصة من صاحبها الأصلي (العباس) فقصة ما قبل النوم يبدع فيها الأجداد خير من الآباء، ألا توافقني الرأي؟

واحد – خمسة!

الواحد يرمز لولاية أدرار والخمسة لولاية باتنة، هذا غريب.

واحد – خمسة!

ليست خمسة أعراق في اتحاد واحد كما كان في جمهورية الصين.

واحد – خمسة!

دعك من هؤلاء الخمسة الغير مرئيين؛ يقرؤون معك هذا الهراء وأنت واحد لا تعلم.

واحد – خمسة!

ليست أصابعك الخمسة التي تحك أنفك بواحد منها.

واحد – خمسة!

ليس يوم الأحد حيث تبدأ الدراسة ولا يوم الخميس حيث تنتهي.

واحد – خمسة!

دعك من هذه الخمسة الفارطة ودعنا نركز على شيء واحد، وهو ألا تبقى وحيدا بعد أن تكسب ال:

"م ع رف ة"

***

اليوم: 3 (الخميس)

الشهر: مارس

العام: 2016

المكان: أولف – أدرار – الجزائر

"من لم يقرأ المقدمات ليس لديه الحق في انتقاد قصتي"

وصلت لبلدتي بعد مضي ثلاث ساعات منذ انطلاقي من عين صالح. شعر رأسي أصبح كالمكنسة وعضلات ساقي متعبة، هذه هي ضريبة السفر في حافلة من نوع hiace اااه نسيت أنني كنت أقرعَ في ذلك العام! واضح أنكم لم تركزوا مع صديقي عندما كان يحكي لكم. كيف سأكمل القصة ونصفكم غير مبال بها؟ (لا بأس. سأغفر لكم هذه فقط.).

دخلت البلدة أمشي على قدمين تعرفان العنوان جيدا. منزل ذو طابقين له باب واحد حديدي أسود قرعته براحة يدي ثم بعد لحظات سمعت صوت المزلاج ينزلق من ثقب القفل. أطل الباب على رجل ذو لحية بيضاء أعطته وقارا، ورأس يتخلله الشيب. كلمني بصوت مبحوح: "العباس. ابني العزيز" لا أدري متى وصلت ولا متى دخلت البيت لكنها كانت معانقة طويلة جدا. قال لي

والدموع تذرف من عينيه: "تفضل إلى أمك فهي على الفراش تنتظرك بفارغ الصبر". - هاهاها أطال عليها اللقاء أكثر بسبب المعانقة- وضعت حذائي أمام باب الغرفة ودخلت دخول الضيوف ثم لإحدى الغرف الثلاث لأجد أمي جالسة على السرير ترمقني بنظرة حنون باكية، وثبت عليها كالقط باكيا. أعترف أنها كانت أجمل لحظات حياتي.

بعدما اطمأننت على أمي صعدت إلى غرفتي لأجد الحاسوب موضوعا كما تركته وعليه كمية هائلة من الغبار. أظن أن الغرفة كلها تحتاج إلى تنظيف وأمي متعبة لذلك سأبدأ وحدي في هذا العمل خاصة وأنني صرت أعتمد على نفسي. استغرق الأمر نصف ساعة وها هي ذي أصبحت لا بأس بها. توضأت ثم صليت الظهر وجلست على الكرسي لأفتح الكمبيوتر لكنه أبى أن يشتغل. لقد نسيت أن أوصله بالكهرباء لأن بطاريته فارغة؛ كم أنا شخص نساء! أوصلت السلك بمقبس الحائط فدوى زئير خفيف من مروحة التبريد ثم أضاءت الشاشة باللون الأزرق ثم الأحمر ثم الأخضر وهكذا حتى ظهرت قرابة العشر ألوان ظننت حينها أنه خلل في الشاشة بسبب الغبار الذي تسلل إلى داخل الحاسوب.

ليته كان غبارا! بل ليت الشاشة انفجرت على وجهي ولا أرى ما ظهر عليها حينها!

***

ليلة قبل الذهاب إلى ورقلة (فندق في قسنطينة):

فتحت الباب في حذر لعله أحد رجال العصابة فأسبقه بالهجوم لكن حدسي أخطأ الآن فالواقف خلف الباب كان الرجل الذي صدمني بالسيارة في أدرار والتقينا في قالمة ليلة البارحة وها هو ذا يتبعني إلى هنا فقلت له في حيرة: "كيف استطعت الدخول؟ المكان محاصر!" أجابني في ملل أن أجلس ليتحدث معي؛ أطعته دون تردد نظرا لكبر سنه فمن غير اللائق استجوابه واقفا.

-من أين أبدأ الحديث؟

قالها بتلهف كمن لديه الكثير يود الإفصاح عنه.

-كيف استطعت الدخول؟ ولماذا أنت هنا؟

-تلك الاحتياطات لا تفيد معي. عدا عن هذا فقد جئت أعطيك تفسيرا لكل شيء: لماذا أنت مطارد وما عليك فعله مستقبلا.

-رغم وثوقي بأن كلامك لن يفيدني كثيرا لكن قل ما تريد قوله.

-قبل عام قمت باختراق موقع عصابة تدعى B.M؛ "الرجل الأسود" وقد علموا بالأمر لذالك أرادوا ضمك لصفهم أما بعد المشاكل التي تسببت لهم بها فموتك أصبح الخيار الوحيد المتاح لهم، وما عليك فعله هو أن تعود لبلدك لتستعيد ذاكرتك وتقضي عليهم.

-كيف تعرف كل هذا؟

-الآن نأتي للجزء الأهم وهو كيف نجوت من حادثة السيارة.

-لابد أنها مصادفة أو لأنني محظوظ.

-لا يا صغيري؛ الحظ لا يتكرر ثلاث مرات. الحقيقة أنا من كنت أحميك في كل مرة توشك على الموت فيها.

-أنا لم أرك سوى الأمس؟

-لو لم تفقد ذاكرتك لعرفتني. يمكنك القول أن من علمك الهكر واقف أمامك، صاحب حساب "القعقاع بن جندع" وكنت أنادى ب "هواري".

-وكيف كنت تحميني حسب زعمك؟

-ألم تفهم حتى الآن؟ الشارع خال حتى تظهر سيارة من العدم. المكان محروس بشدة وأتسلل بسهولة.

تشكلت حبات من العرق على جبهتي وهاجت نبضات قلبي.

-جن؟ (أردت قراءة بعض الآيات لكن أنت تعرف الرعب الذي يقطع النفس عن فمك ويمزق حبالك الصوتية)

-هاهاها ليس تماما. أنا شبيه بشيء يتبعك ويحميك.

-ك. ك. كي. كيف؟

-سأحكي لك كل شيء. تقول الأسطورة أن في كل عشر سنين يولد شخص مختلف عن البقية، مختلف لحد بعيد. في العالم الموازي يولد له حارس قبل خمسين عاما من ولادته؛ هذا الحارس يمكنه التجسد بشكل واحد على عكس الجن، ولكن لديه نفس المميزات التي تملكها الجن كالنفاذية والشفافية إلا أنه أقوى منها بمراحل.

قلت وقد بدأ الخوف ينقشع عن قلبي: "ولم كل هذا؟"

-عندما تنفخ الروح في هذا المولود وهو في بطن أمه يأتي دور الحارس ليحميه من الأشياء الميتافيزيقية لأنه إن مات- المولود- يموت - الحارس- والعكس خاطئ.

ابتلعت ريقي لأبادر بسؤال آخر:

-لماذا سيهاجم طفلا لازال في بطن أمه؟

انقشع وجهه كأستاذ تعب من إفهام طالب غبي وأجاب:

-الندرة يا فتى الندرة. هذه الظاهرة تتكرر كل عشر سنين ويسمى هذا المولود بالڤولدن (golden)[1]. غريزيا يحب اللون الذهبي - الخيط الذهبي الذي كان مربوطا في إبهامك - ويسعى خلفه الوحوش الأسطورية ومصاصي الدماء والمذؤوبين وو و.

أردت طرح سؤال آخر فبادر بالكلام كأنه توقع سؤالي فقال:

-لا أعلم ماذا سيجنونه منه لكني أعرف أن مهمة كل حارس هي حماية الڤولدن. أنت هو كنزي فحياتي منوطة بحياتك.

-الآن علمت سبب ولادتي بهذا التشوه؛ لابد أن الجن استطاعت إيذائي على الأقل.

-شكلك هو قدر وهم كانوا أسبابا لسيره، لكن (صمت قليلا)

-لكن ماذا؟ أكمل كلامك.

---

[1] كلمة إنجليزية معناها: **الذهبي**

-كما يأتي القدر بالأخذ يأتي بالعوض أيضاً وعوضك هو جسدك الغير طبيعي: بناء عضلي مضاعف بثلاث مرات عن الإنسان الطبيعي، تعلم سريع وذاكرة قوية وأشياء أخرى.

-احم احم. أظنك أخطأت في الأخيرة.

-لا؛ عندما تعود ذاكرتك سترى بنفسك؛ وأراهن أنها ستعود بسهولة.

طأطأت رأسي كمن تذكر شيئا ثم قلت:

-يبقى هناك سؤال عالق. لماذا صدمتني بالسيارة ان كنت حارسي؟

-الحارس مكلف أيضا بتدريب الشولدن وتمحيصه لليوم الموعود وهذا ما أردت فعله عندما علمتك الهكر ثم أرسلت لك موقع العصابة لتخترقه ثم صدمتك بالسيارة الوهمية فأفقدتك ذاكرتك ونزعت الخيط من يدك ووضعته على جثة محترقة لينتشر خبر موتك وطلبت من بَاسِم أن يأخذك معه بعدما أخبرته بهويتك. كل هذا لتصير أقوى.

-اليوم الموعود؟ لم أفهم هذه النقطة!

-في سن الخامسة عشر يموت الحارس ويكتسب الڤولدن مناعة ضدهم. قوتها تكون على حسب ما خضته من تجارب.

-هاهاهاها الأمر أشبه بقصة في رواية رديئة قرأتها في مصر.

-لو كنت مكانك لما وجدت وقتا للضحك؛ فكما يظهر الڤولدن كل عشر سنوات فمناعته تختفي بعد عشر سنوات. تذكر جيدا أيها العباس؛ في سن الخامسة والعشرين ستعاني كثيرا.

عاد الخوف ينخر عظامي لأني في نوفمبر الفارط أكملت سن الخامسة عشر. وكأن مطاردة العصابة لا تكفيني لتطاردني أشياء لا ترى.

-الشهر واليوم غير معلومان.

قالها وهو ينظر نحو النافذة ثم أكمل:

-كل الحراس يموتون في سن الخامسة والستين لكن لا أحد منهم كان يعلم متى بالضبط؛ ربما اليوم أو ربما غدا أو في آخر دقيقة من العام.

-كيف سأعلم أنك قد مت؟

-سيصيبك دوار مفاجئ ثم سيشحب لون جلدك وستختفي هذه التشوهات من على وجهك تدريجيا ولن يفنى من حياتك شيء قدمته لك؛ عندها تبدأ حياتك الجديدة، حياة ترى فيها الأساطير تتحقق وتسمع فيها أشياء تفوق خيالك، عاملها كسراب لأن لا شيء منها سيؤذيك مادامت لديك مناعة. أنت متعب من ليلة أمس؛ سأدعك تنام.

-انتظر لحظة! لماذا لم تحميني قبل أن أفقد ذاكرتي؟

-الحارس يحمي صاحبه وقت الموت المحتم فقط. ضع هذا في عقلك ولا تنسى.

***

-أعضائي ترتجف؛ هل حان الوقت الذي أخبرني عنه رجل الفندق؟ لا؛ ليس الآن فالناس من حولي.

(العدد الأول: الفتى المشوه ص152)

***

شاشة حاسوبي تتلون بشتى الألوان تناوبيا، أزرق، أحمر، أخضر. ثم عادت للأسود وظلت عليه بضع دقائق حتى ظننته انطفأ، ليته انطفأ ولم تظهر تلك الكتابة، كتابة باللون الأحمر أشبه بدم على حائط أسود. أحرف واضحة تداعب الأعين: "سنسبقك بخطوة دائما؛ لن تنجو" انقبض قلبي وتصلب شعر رأسي -لوكان لدي واحد- وأعضائي تصفق لو أردتم وجه الدقة. ما هذا الخوف؟ لم يأت اليوم الموعود بعد، فكيف لو أتى، كيف سيكون حالي! تمالك نفسك يا العباس فأنت أقوى من هذا. عندما يموت سأرى أشياء تفوق التصور البشري، هذا ما قاله، لم يمت بعد، كيف لو مات! ماذا سأرى مثلا! التفكير في الأمر وحده يجعل معدتي تتقلص.

بعد قليل زالت الكتابة واشتغل حاسوبي كأن شيئا لم يكن. فتحت مستقبل الانترنت ثم إلى متصفح pale moon لأرى حسابي على الفيس بوك بعد مضي عام، مجموعة فلسفة مريض نفسي المميزة. سأنشر فيها خبر عودتي. نقرت على مستطيل "بم تفكر"، أغرب مستطيل قد تراه في حياتك فهو مصيدة واضحة لجعلك تضع كل أفكارك على الفيس بوك (ماذا أكلت البارحة– متى دخلت للحمام– هل تجلس القرفصاء أم متكئا) لست من هذا النوع والحمد لله. "أهلا بكم إخوتي؛ أظنكم نسيتموني!" ثم فكرت قليلا:

لو أنني استعملت لفظة ڤولدن في آخر منشوراتي المستقبلية كرمز يميزها عن باقي المنشورات؛ مثل الهاشتاغ. راقت لي الفكرة فطبقتها -ونجح مارك في جعلي أضع ما أفكر فيه-. وهنا كنت ذكيا، أذكى من بنكي وبرين[2].

كثير من التفاعلات حصدها منشوري الأخير؛ قرابة النصف ألف؛ الأمر لم يرق لي كثيرا فرغم هذا مجموعتنا تحوي مائة ألف عضو أي 95.5 بالمائة هم أصنام -لو كان للأصنام حساب فيس بوك-؛ لو حضر عليهم أبو لهب لعبدهم أو ربما راقوا له أكثر من اللات والعزى من يدري. خمس مائة تفاعل أمر كثير، لو أن كل واحد منهم أعطاني عشر دنانير لاشتريت ماعز وأرحتهم من ثرثرتي. أصبحت أخرج من الموضوع كثيرا بسبب القلم الذي يهرب من يدي كلما ارتفعت. لا عليكم، أين توقفنا؟ اه المنشور الأخير؛ تذكرت، قلت لكم أن الكثيرين فرحوا بعودتي منهم خليلة وحنان وأحمد وخالد ووو، تعليق واحد أثار انتباهي. تعليق لشخص اسمه يحيى، yahya Taouza قال فيه: "ماذا تقصد بكلمة ڤولدن؟"؛ غريب!

[2] شخصيات كرتونية

أليس الأمر واضحا! إنه مجرد رمز لا أكثر. لا مشكلة، سآخذه على قدر عقله: "رمز يخصني لا غير".

تلك الكلمة تخرج من فمك فتتسبب لك في مصيبة؛ أظنك تعرفها أخي القارئ. هذا ما حصل هنا.

***

أظنكم مللتم من هذه الأحداث العادية المملة وتطالبونني بالملل الأعظم الذي وعدتكم به. (تؤ تؤ)[3] لم يحن وقته بعد؛ كونوا صبورين قليلا ودعوني أحكي لكم ماذا حصل عندما عدت إلى البيت وسألت أمي عن أخي "فقالت أنه قليلا ما يأتي للمنزل بسبب أعماله الكثيرة - حيي بالذكر أن أذكر أنه في الرابعة والعشرين من عمره- طيب؛ على الأقل لن أرى وجهه المشؤوم إلا بعد مدة، رن هاتف المنزل (الهاتف الثابت) وأنا شارد في تلك الأفكار حتى ناداني أبي يقول أن أحدهم يريد مكالمتي. أظنه أحد الأصدقاء رفعت السماعة وقربتها من أذني.

[3] صوت طقطقة باللسان دلالة على النفي. كنا في المتوسطة نجيب أستاذ اللغة العربية هكذا فيقول بصوت ساخر:"هل تستطيع كتابة هذه الطقطقة على السبورة؟ "

-آلو. من المتصل؟

-رئيس الاستخبارات؛ أردت شكرك على الخدمة التي أسديتها لنا.

-لا داعي للشكر؛ كان ردا لجميلكم فأنتم قمتم بحمايتي؛ ثم، هل حقا كنت مهتما بي لمجرد أني مفيد لكم؟ كنت تستطيع أن تجعل مني طعما لتصل إليهم.

(تغير حديثه كأنه كان يضع مغير الصوت) لم أرد المجازفة بك.[4]

-أعرف هذا الصوت! لا. لا يعقل.

-كبرت يا أخي وأصبحت قادرا على الاعتناء بنفسك.

-ل. لكن لماذا؟ لماذا تغيرت؟

-لم أتغير؛ هذه طبيعتي. كنت أريد جعلك أقوى ورجائي تحقق. قمت بتوصية صديقي الضابط عليك وخططت لاختطافك وإرسالك لمصر لكن القدر تكفل بهذا وقد غدت رجلا يعتمد عليه.

-الضابط خالد صديقك؟ من أين تعرفه؟

[4] لحظة ضعف جعلته يفشي سرا من أسرار الدولة. ولسوف يندم على هذا في ما بعد

-عندما وصلت سن الخدمة الوطنية أرسلونا لنكمل تدريباتنا في مصر بموجب اتفاقية ممضاة بين الدولتين.

-ألم تكن في رحلة عمل؟

-هذا ما أقوله كي لا ينكشف سري، ثم فأنت الوحيد الذي يعلم. أبقي الأمر سرا لأنك منذ الآن ستكون فردا في وكالة الاستخبارات.

-سرك في بئر سحيق. ستجدونني متى احتجتم إلي لكن لن أنضم إليكم.

-البئر يشرب منه الجميع. حسنا؛ أتقبل قرارك.

-هاهاهاها. لا تقلق.

انتهت المكالمة وعقلي لم يستوعب الحقيقة بعد؛ كيف ينقلب أخ حقود إلى شخص يحميك. الأمر صعب التصديق. "من كان المتصل؟" كان هذا أبي ووجهه ارتسمت عليه الحيرة فأجبته: "أحد الإخوة الذين ساعدوني" وهذا الأسلوب يسميه اللغويون ب "التورية" وهي طريقة نافعة للهروب من التورط الكلامي.

***

بعدما أنهيت الرد على التعليقات رحت أجوب الرسائل. قصدت دردشة "جميلة" أنتم تذكرونها لا ريب. شرعت أقرأ الرسائل القديمة: "أين أنت؟ -ألن تعطيني درسا لليوم؟ - لا بأس سأتعلم بمفردي - تعلمت أشياء كثيرة بعد غيابك" ثم رسالة حديثة لم تمض عليها الساعة حتى: "رأيت منشورك الأخير وذالك اليحيى صاحب التعليق الذي فهم شيئا آخر". ضغطت على مكان الكتابة ورحت أداعب أزرار الكيبورد بأناملي: " لا أظن أن هناك شيئا آخر يفهم من كتابتي لڤولدن في آخر المنشور". تمت قراءة رسالتي في لمح البصر؛ يعجبني هذا الصنف من الناس الذي يشعرك وكأنه يهيم فيك حبا. بدأت النقط الثلاثة ترتفع وتنخفض؛ ثم (ترن) الرسالة قد وصلت: "هناك أسطورة متداولة بين الناس تقول أن في كل عشر سنين يولد شخص فريد عن البقية يلقب بالڤولدن. عندما قرأ الفتى منشورك ظنك هو؛ لكن أنا شخصيا لا أؤمن بهذه الخرافات وإن كانت حقيقة فأنا متأكدة أن ڤولدن العقد سيكون أنت". تصلبت شراييني من هول المفاجأة؛ لم تتأخر كثيرا في الكتابة ورغم هذا كتبت لي مقالا بهذا الطول والأدهى أنها أصابت عين الحقيقة. رددت عليها في عجل: "الحمد لله أنك لا تؤمنين بالخرافات". أرسلت لي ملصقا دلالة على الخجل. الغبية، ظنتها

مجاملة. لدي الكثير من الأسئلة لهواري لكن حسابه اختفى تماما. على كل حال علي الرد على يحيى لأزيل شكوكه. دخلت صفحته وأرسلت له رسالة أؤكد فيها أنه سوء فهم وأني لست تحققا الأسطورة -لم يرد على رسالتي- أظنه مشغول حاليا؛ لا يهم؛ متى ما دخل سيجدها بانتظاره - الرسالة طبعا -.

هذا الأسبوع الفارط كان التلاميذ يجتازون اختبارات الفصل الثاني وقد أخبرني أخي أنه قام بالتدابير اللازمة كي يعيدوهم لي الأسبوع القادم -دون أن ننسى أني أعدت سنة بسبب مغامرتي السابقة -سأراجع قليلا.

***

الجمعة 4 مارس:

حل الصباح أخيرا وأشعة الشمس تداعب رؤوس الجدران لتعلن بداية يوم جديد –يوم الجمعة– اليوم الذي يرتاح فيه العامل الوظيفي ويتعب فيه الفلاح، لأنه عطلة للأول وفراغ للثاني والويل لمن جمع الاثنين معا. بالطبع أنا فلاح لكن مزاجي ليس مزاج العمل بسبب السفر الطويل. سأخرج لأتكئ على جدار بيتنا لعل الشعاع

الأصفر يعيد لي بعض النشاط. جلست أرمق الشارع في صمت وبالي مشغول بما حدث بالأمس عندما عدت، وعيناي مثبتتان على حمام وحيد يدور هنا وهناك، يلتقط بفمه أشياء يغذي بها نفسه. لا تستعجلوا. ليس هذا ما لفت انتباهي فيه، بل ريشه الأحمر المختلط بالسواد، هذا حمام قلما تراه في بلادنا، وأيضا وحيد! معروف عن الحمام أنه يحوم في مجموعات خصوصا في الصباح الباكر، إنه أمر نادر الحدوث؛ نادر! هل يوجد ال-ڤولدن- في الحمام أيضاً؟ ههه يالي من ساذج. هكذا كانت أفكاري تتداخل من موضوع إلى موضوع حتى قطعها صوت أولاد يقولون:

-انظروا! لقد عاد المشوه.

-مرحى! عادت المتعة أخيرا.

-أراه زاد طولا وعرضا.

-لا يهم؛ سيبقى الجبان جبانا. فلنذهب لنمرح معه قليلا.

تقدموا نحوي حتى أصبح بيننا متر واحد. ثلاثة أولاد نسيت ملامحهم لكني أؤكد أنهم حمقى مثل مشاغبي حانتك. من بين

أقدامهم لمحت فتاة تركض نحونا وتصرخ: "ابتعدوا عنه. اتركوه وشأنه".

سأتخطى هذا المشهد إلى حوارنا أنا والفتاة التي تبين لي أنها زهرة بنت خالي. أراكم تحتجون على قراري وتريدون بعض الأكشن! سأعترف لكم. لست بارعا في وصف هذه الأحداث. الخلاصة أنهم غابوا شهرا عن المدرسة. كل ما في الأمر أني كنت جالسا وأقدامهم حجبت عني شعاع الشمس فقمت بكسرها. هل هذا كثير! حتى أهلهم لم يجرؤ أحدهم على لومي، أظنهم أحسوا بأنه انتقام مني على ما فات؛ الأغبياء، لا يعلمون أني لو أردت الانتقام لما عاد إليهم أبنائهم يزحفون. لم يكونوا ليعودوا أصلا.

-كيف أصبحت اليوم؟

قالتها زهرة -ولا داعي لأن أصف ملامحها فوصف البنات عيب، ألا توافقونني على هذا؟ - وفي عينيها حزن دفين؛ أجبتها:

-بأحسن حال. شكرا لأنك ساعدتني في إيقاف القنبلة.

-هذا بالضبط ما أردت الحديث بشأنه.

جلست بقربي وبيننا نصف المتر ثم أردفت:

-ما إن انتهى الاتصال بيننا حتى غبت عن الوعي وعندما أفقت وجدت السلك مقطوعا والساعة تشير لثانيتين.

-ماذا؟ كيف قطع السلكان معا في نفس الوقت إذًا؟

-أحسست بضربة قوية على رأسي ثم اسودت الدنيا من حولي. الأعجب في الأمر هو أن لم يكن هناك أثر كدمة أو ما شابه.

ضربة على الرأس تفقد الوعي وليس لها أثر! هل هي ڤولدن أيضاً؟ لا، يستحيل. الڤولدن يظهر كل عقد وزهرة تكبرني بعام واحد. هكذا همت في أفكاري شارد الذهن مجددا حتى قالت:

-هل سمعت ما قلته لك؟

-نعم. نعم. المهم أنك بخير وأن المصيبة لم تحدث.

-تغيرت كثيرا يالعباس. شرود ذهن وغموض يحيط بك.

-سبحان الله الذي لا يتغير. غبت عنكم عاما وخضت تجارب قاسية فكيف تتوقعين أن تجدي العباس القديم أمامك؟

-آسفة. حان وقت ذهابي إلى البيت فاليوم الجمعة كما تعلم.

-انتظري!

أردت إخبارها بقصتي كوني ڤولدن لكن شيئا ثقيلا غير مرئي أمال كتفي قليلا؛ أقسم على هذا؛ فهمت مباشرة أني على وشك ارتكاب حماقة سأندم عليها أشد الندم.

-ماذا بك؟

-لا شيء. أردت قول شيء لكني نسيته.

-حسنا: أراك بعد غد في طريق المدرسة.

"إلى اللقاء" قلتها وأنا أنظر إليها تبتعد حتى سمعت صوت هديل - الصوت الذي **كان** يستهويني- نظرت أمامي لأرى الحمام النادر ذاته يرمقني بنظرة ثابتة. لست أحلم! عيناه كعينا روبوت! لا يعقل.

السبت 5 مارس:

لا شيء جديد سوى المراجعة المكثفة والدردشة مع جميلة.

الأحد 6 مارس:

أشعر أنني أدرس مع أطفال الابتدائي مع ضخامة جثتي هذه؛ لو وضعوني مع طلاب الجامعة فلن يعرف أحد أن سني هو 15. كنت لأكون في الأولى ثانوي لولا ذاك العام الضائع. دائما يقال أن مرحلة

المتوسط تجذبك إليها جذبا. أخيرا أنا أدخل قاعة الدراسة؛ هل رأيتموني! نعم؛ من غيري ضخم هكذا -عدا الأساتذة طبعا-. جميع التلاميذ يتبعوني بأعينهم في حيرة. أشار لي الأستاذ بالجلوس في آخر الصف من جهة الحائط وبدأ يثرثر قائلا: "هذا أخوكم العباس وقد كان مخطوفا طيلة العام الفارط وهو الآن معكم حي يرزق وستعاد له اختبارات هذا الفصل ابتداء من اليوم كحالة استثنائية. ذهب نحو محفظته وأدخل يده فيها وأخرج ورقة. ناولني اياها على عجل وعاد ليبدأ شرح الدرس للآخرين.

"اختبار في مادة الرياضيات " اذن فهذا أستاذ رياضيات! هذا يفسر حركاته الغريبة وملامحه الأغرب. لم أتوقع أنني سأبدأ ب(الضَّالَى)[5]. المدة ساعتان. أربع تمارين ومسألة. الأول عن تبسيط كسر باستعمال القاسم المشترك الأكبر. الثاني عن نشر وتبسيط وتحليل العبارات الجبرية. الثالث عن دراسة دائرة محيطة بمثلث قائم. الرابع عن نظرية المستقيمين المتوازيين يقطعهما قاطعين غير متوازيين. المسألة عن استخدام الدوال التآلفية في الهندسة. أكملت الإجابة خلال ساعة واحدة حتى أن الأستاذ كاد يفتح فاه

[5]لفظة بالعامية الجزائرية تعني السقف ويطلقونها على مادة الرياضيات باعتبارها سقف العلوم

من التعجب. أراهن أنه هو نفسه لا يستطيع حلهم في هذه المدة وأيضا فقد أخذت العلامة الكاملة. خرج مهرولا من القسم نحو الإدارة ليخبر المدير. أصبحت حديث الساعة. مضى الأسبوع على خير ولعلك تتوقع نتيجة المواد الأخرى كيف كانت. العلامة الكاملة في جميع المواد؛ حتى اللغة العربية التي يصعب أخذها فيها بسبب التعبير الكتابي إلا أنه أعطاني العلامة كاملة غير منقوصة؛ غير أني تعجبت؛ أنا لا أستحقها حقا وأظنكم توافقونني الرأي بسبب هذه الرداءة في حكاية قصتي.

-الخميس10 مارس:

في آخر يوم من الدراسة هذا الأسبوع (الخميس) انعقد اجتماع لأساتذة الرابعة متوسط مع المدير وبالطبع أنا هو موضوع الاجتماع.

- أ. **الرياضيات**: أعطيته اختبار الشهادة للعام الفارط 2015 كي أسقطه عمدا كما طلبت مني لكنه أخذ العلامة الكاملة.

ردد الأساتذة الآخرون من خلفه "ونحن أيضاً". حك المدير لحيته بما معناه: "ما باليد حيلة" ثم قال: "سيصعد العباس مباشرة إلى الثانوية". هاهاها الأمر لا يصدق، لكن هذا ما حصل.

كنت جالسا في غرفتي كعادتي حتى أتت زهرة إلى البيت لتبارك لي ووجهها يقطر سعادة. استأذنت أمي لتراني. صوت صعود السلالم ثم طرقات على الباب؛ فتحته لها فأخذت نفسا ثم قالت:

-مبارك عليك نيل الشهادة. ستعاد لك اختبارات الفصل الثاني للمرحلة الثانوية وعليك أن تتحصل على معدل 15 في الفصلين حتى تستطيع النجاح. سأقوم بمساعدتك على المراجعة إن أردت.

يقولون أنه اذا علق شيء في رأسك فإنك ستراه في كل شيء، في الشارع وفي البيت وفي كلام الناس وفي المرحاض أيضاً – تعرفون سبب اقتران هذين الأخيرين – وهذا ما حصل لي مع العدد 15. وأيضاً فهو العدد الأول في الفرنسية الذي حفظته بعد رقم 1 و2 و3. (كانز) حفظته بكلمة كنز. حقا هذا العدد كنز إلا أن الكنز نادر.

-شكرا لك لكني أفضل المراجعة بمفردي.

ابتلعت لسانها كأنما أهنتها بكلامي –رغم أني لم أقصد –.

-حسنا كما تريد. سأحضر لك كتبي وكراساتي للعام الماضي لعلها تساعدك قليلا.

قابلتها بابتسامة امتنان "أشكرك".

***

الجمعة 11 مارس:

نفس الروتين ككل جمعة.

السبت 12 مارس:

حل ليل هذا السبت الطويل وفوق ظهري مراجعة طويلة تحضيرا لاختبارات الغد وسأبدأ الآن. لا أظنكم تريدون معرفة ماذا أراجع وكم استغرقت وأنا أقلب صفحات الكتب والكراسات، المهم أن الساعة كانت تقريبا تشير إلى منتصف الليل وأبواي نائمين نمو الدببة. حان وقت جمع هذه الكتب وأخذ استراحة مدتها ست

ساعات. استلقيت على فراشي وتواريت بغطاء خفيف (لا تنسوا أننا في شهر مارس حيث الجو بارد قليلا فقط)؛ سحقا؛ نسيت الضوء شغالا. ماذا أفعل؟ في حياتي لم أتمنى ظهور شبح أو جن أو مصاص دماء أمامي لكن الآن الوضع مختلف. ليت أحدهم يخرج من العدم ليطفئه وسأكون ممتنا له حتى إن طلب مص لتر من دمائي. ما باليد حيلة فليست كل الأماني تتحقق. حملت قلما كان على الطاولة بجانبي ثم قربته من وجهي؛ أغلقت عينا وصوبته على المكبس كرامي سهام محترف فانطفأ المصباح. ساعة كاملة والنوم لم يداعب عيني – ليس بسبب الأرق أو التفكير طبعا– بل بسبب ذالك الصوت القادم من قرب الخزانة. "قليل من الشجاعة لن يضر يالعباس" هكذا قلت لنفسي، ثم أخرجت رأسي من تحت الغطاء لأرى شيئا ما يمشي موازيا للحائط، مسافة المتر يقطعها بين الخزانة وركن الغرفة؛ يجيء ويروح كأنه قطعة حديد على جسر بولس. الصوت كان يصدر من اصطدامه بالخزانة كلما وصل عندها. هل هذا فأر؟ لا بل قنفذا! لن أعرف مالم أفتح الضوء. نهضت وأنا أتحاشى ذالك الشيء قدر الامكان ثم: "طق" صوت غلق الدارة. لم يكن فأرا ولا قنفذا بل كان حماما نعم حمام؛ حمام نادر ذو ريش أسود يتخلله اللون الأحمر وذو عينين

تشبهان عينا روبوت؛ نفس الحمام الذي رأيته الأسبوع الماضي. لكن أين أراه مجددا؟ في غرفتي ومتى؟ في منتصف الليل. أنا أتفهم عندما يكون البرد قارسا أن تصبح غرفتي حديقة حيوانات تلتجئ إليها أصناف الحشرات والقوارض وحتى الفيلة -لو كان للفيلة أن تصغر قليلا-، لكن نحن في شهر مارس فماذا أتى بهذا هنا؟ تمعنت فيه قليلا وفي عينيه الغريبتين ثم أتيت بعلبة كرتون كانت موضوعة في الخزانة منذ عام ووضعته فيها وأحكمت اغلاقها ثم ثقبتها بقلمي -هشة جدا بسبب قدمها- كي يدخل الهواء لداخلها. تمنيت أن يبقى هذا الحمام هادئا بضع دقائق ريثما أنام وقد كان لي ذالك.

الأحد 13 مارس:

الصباح الدافئ حلم المرضى والمرهقين نفسيا. عدوُّ الجن ومصاصي الدماء. ضوء الشمس حيث تفضح الأسرار وتُحل اللعنات؛ عندما تصيح الديكة وتزقزق العصافير معلنة بدء يوم جديد.

استيقظت قبل الشروق بساعة لأكمل مراجعتي. للأسف لم أحظ ببال فارغ والسبب أخالكم تعرفونه؛ بالضبط؛ الحمام الغريب.

نظرت في اتجاه علبة الكرتون وإذ فيها كوة من احدى جوانبها بحجم حمام وهو طبعا اختفى دون أثر. إلى هنا الأمر منطقي. الذي أرقني هو جوانب الكوة، خط أسود عريض على جوانبها يدل على حصول عملية احتراق.

"علبة الكرتون قديمة وهشة "

" كوة في احدى جوانب العلبة بحجم حمام"

سأعطيك دقيقة لتفكر وتستنتج ما الشيء الغير منطقي. إذا عرفت الإجابة فأهنئك على حدسك البوليسي.

النار يا صديقي، النار خرقت قوانين الطبيعة؛ كيف لم تكمل احراق وجه العلبة على الأقل؛ الهواء ليس تفسيرا مناسبا لأن النار تتشبث في الأشياء الهشة كتشبثك بقصتي السخيفة. حتى لو انطفأت سيتكفل الجمر بإنهاء الوجه، هذا طبعا إذا تغاضينا عن أن الرياح كانت في عطلة تلك الليلة. دعوكم من هذا ولنعد لتفاصيل الدراسة والاختبارات.

دخلت الثانوية أول مرة في حياتي؛ كنت لأشعر بالتوتر والانبهار لو كنت طفلا عاديا في الخامسة عشر من عمره. نسيت! تعمدت زهرة

انتظاري قرب الباب كي تكون مرشدي في هذه الغابات الشاسعة – على حد قولها– وما إن دخلت وثنائيات الأعين تتبعني في كل خطوة أخطوها وبعض الهمسات تصل لأذني واضحة:

-هذا ابن عمة زهرة.

-قالوا أنه في الخامسة عشر من عمره.

-لا يعقل؛ ظننته طالبا جامعيا بادئ الأمر.

-إنه وسيما جدا. –هذه الأخيرة لم أعلم حتى الآن من صاحبتها–.

انتهت فترة الامتحانات المعادة بروتين عادي واستطعت تحصيل معدل 15.99 بدون تعب كثير.

-الخميس 17 مارس:

آخر الأسبوع وبداية العطلة الربيعية عندما تضج الشوارع بالأطفال والفيس بوك يضيء بألوان النشاط الخضراء. عدت للإنترنت بعد انقطاع دام أسبوعا، كثير من الاشعارات وكثير من الرسائل إحداها من جميلة تقول إنها اشتاقت إلي. هاهاها اضحكوا يا قراء كتاباتي. إذا لم تضحك فاعلم أنك بلا ذوق أو متتبع لعثراتي أو مدقق لغوي أو لم تفهم أصلا وهذان الأخيران

معذوران. دعونا منها الآن وبماذا رددت عليها فهذا شيء لا يخصكم. وجدت رسالتي إلى يحيى لازالت معلقة دون اجابة فرحت ألقي نظرة على تعليقه. 15 تفاعل ب "هاهاها" على التعليق. أكاد أجزم أن الجميع يعرف هذه الأسطورة وقد ضحكوا على غبائه لأنه صدقها. لوكان هناك تفاعل على التفاعل لضحكت على ضحكهم فهو أصاب عين الحقيقة. الآن أتصفح بعض الأخبار ومنشورات مجموعتنا حتى لفت نظري خبر طازج من احدى القنوات الجزائرية يقولون فيه:

"في الخميس 17 مارس 2016 وقعت حادثة هزت العالم عامة والجزائر خاصة. تم العثور على 15 جثة لتسع شباب وستة فتيات، عشر جثث في الجزائر والخمس الباقية منتشرة في باقي العالم. جثث أقل ما يقال عنها أنها في حالة يصعب التعرف على أصحابها بسبب التمزيق والتكسيروالحرق الذي تعرضت له ". انتهى الخبر.

بالطبع كانت الكلمات الحساسة مشفرة (التمز*يق -التك*سير-الحر*ق) كي لا تقوم شركة الفيس بوك بحذف المنشور.

سأبادر بنشر استفسار في المجموعة عن الحادثة. عجبا. عشر منشورات من أقارب الضحايا يطلبون الدعاء لموتاهم. عشر من الضحايا هم أعضاء في مجموعتنا! ان الأمور تتعقد.

***

انسدل الرداء الأسود الساتر للفضائح والحاجب لنور البصر – وأحيانا البصيرة–. هذا أول ليل لي منذ عام أقضيه جوار الوالدين دون تفكير في المراجعة لأن امتحاناتي انتهت. بعدما تناولنا عشاءنا خطر ببالي أن أذهب للكثبان الرملية (العرق) لأريح جسدي في الهواء النقي والتراب النظيفة. لن أطلب الاذن من أبي لأنه سيمنعني؛ تركتهم حتى ذهب النوم بحواسهم وارتديت لباسا يناسب الكثبان الرملية في شهر مارس وانسللت سريعا من الباب أتمشى 100متر لأصل الى غايتي. الجبل الاصفر يقف شامخا أمامي وان اختلط لونه بلون الظلام فأصبح بنيا يكاد يسود. خلعت نعلي وحملتها بيدي ثم ها أنا أرفع رجلا بعد الأخرى وأتحسس موطئ قدمي كي لا يجرحني الجريد المتساقط هنا وهناك بالطبع فهناك حقول المدينة خلف هذا الجبل. وصلت القمة بعد مجهود عضلي لا بأس به. قمته تشبه طبقا مقلوبا، اخترت مكانا جيدا يطل على

مدينتي من جهة وعلى الحقول المظلمة الموحشة من جهة أخرى. منظر مدينتي رائع مع هذه الأضواء المنارة كالنجوم والطرق المتشعبة كأنها متاهة ونسيم دافئ يملأ المكان وهدوء تام. استلقيت بضع دقائق ثم سمعت صوت شاب قادما من خلفي. التفت اليه، أنفاسه متقطعة تدل على تعب ومجهود كبير كأنه دب تسابق مع فهد –لو كانت الدببة تحب السباق–. وجه دائري وعيون سوداء لحد مخيف وأسمر البشرة كحال سكان المنطقة. صوته واضح رغم بعد المسافة بيننا ورغم أنه لم يصرخ -بسبب الهدوء طبعا-:

-لماذا تجلس وحيدا هنا؟

-أتيت قاصدا بعض الراحة.

-ألست فتى البلدة المجاورة الذي صعد للثانوية متأخرا بفصل؟

-بلى. بشحمه ولحمه. ومن أنت؟

-شاب أسكن قريبا من هنا. هل تسمح لي بالجلوس؟

أومأت برأسي أن ليس لدي مانع فاقترب قليلا وجلس. هذا الشاب كأنه مكيف؛ أحسست ببرد شديد يجول في عظامي. انتبه هو لهذا فقال:

-أظنك تحس بالبرد. سأذهب لجمع الجريد لإشعاله، لن أتأخر.

لم أجرؤ أن أقول له بأن البرد ذهب معه؛ بعض النار لن تضر أحدا. بعد دقائق عاد وعلى ذراعه كومة من الجريد اليابس وضعها على الأرض وأخذ منها جريدتين وأخرج قداحة من جيبه ثم أشعلهما. الشعاع الأصفر الشبيه بشعاع الشمس صباحا يضيء المكان ليضفي جوا رهيبا. نرمق النار بدون كلام، ثم أراد كسر حاجز الصمت فقال:

-سمعت أنك خضت تجربة قاسية.

-بلى. الخدمة العسكرية في مصر ثم هروب من مطاردة ثم ايقاف قنبلة في عين صالح.

-لو أنك رويت قصتك على التلفاز للعالم لأصبحت مشهورا.

-فكر مليا. لو أنني اشتهرت لأصبحت أكثر عرضة للخطر، ولو كنت أعلم أن أهلي سيذيعون الخبر لما حكيتها لأحد.

-معك حق. على كل، كيف مرت عليك فترة الامتحانات؟

-جيدة نسبيا وهذا لأني قضيت الساعات الطوال في المراجعة.

-أهنئك على هذا. صعدت متأخرا واستطعت التدارك. أنت شخص نادر كالذهب (قالها بنبرة محقق كشف الجاني).

دقت الكلمة الأخيرة في قلبي كالسكين ورحت أفكر: هل يعلم؟ وان كانت الاجابة بنعم، فما مدى علمه؟ وكيف علم؟ شردت بذهني وآثرت الصمت، ثم رأيت هواري قادما من بعيد بهيئة الكهل الذي جاوز الستين. انتظرته الى أن وصل فقلت: "أهلا بك"، رمقني الشاب بنظرة ثابتة ثم قال: "من تخاطب؟"، علمت أني أخطأت، لأن الحارس لا يراه سوى صاحبه؛ أردت تدارك الوضع فقلت:

-لا شيء؛ كنت أفكر بصوت مسموع وهذه من عاداتي السيئة.

بدا كأنه ابتلع عذري. تكلم الهواري بعدما جلس قربي: "أردت لقاءك لأحكي لك عن أسرار لا تعلمها". ضربته بمرفقي على ذراعه لأنبهه أني مشغول مع هذا الشاب. لاحظ هذا فقال في ثقة: "أظن أن البرد تمكن منك تماما. على كل حال فقد حان وقت ذهابي، رغم أني سأفوت حوارا شيقا". ودعته بابتسامة شاكرا اياه على النار التي أشعلها. يبتعد. يبتعد. ابتعد حتى اختفى تماما ثم نظرت لهواري معاتبا اياه: "ماذا دهاك؟ كدت تكشفني". نظرة بلهاء على وجهه وهو يقول:

-أكشفك؟ وجدتك جالسا بمفردك في الوقت المحدد فأتيت لأقابلك.

-ألم تر من كان معي يكلمني؟

-هل كان معك أحد؟ لم أر شيئا!

-غريب! ظننتك ترى البشر والوحوش معا. من يكون هذا إذن؟

-مخلوقان لا أراهما. العفريت الأكبر وڤولدن آخر. أرجح الخيار الأول. انظر حولك، لا آثار أقدام والنار التي لم تضعف طول هذه المدة. ألم تنتبه لشيء.

-كنت أحادث عفريتا وأنا لا أدري. معدتي تتقلص من هول الفكرة.

-لا أدري ما كان ينوي فعله لكنه ضعيف ولن يستطيع أذيتك.

- لا بأس. ماهي الأسرار التي لا أعرفها.

-أخبرتك بحقيقتك وبماذا سيحل بك، لكن لم أعطك الحل لتواجه مصيرك. ثلاثة لا رابع لها. قواعد ذهبية ستلعب وفقها بعد موتي وهي:

-***البند الأول:***

"ينتهي أمرك اذا أصبح 15 شخصا من معارفك قربانا بشريا "

ضع خطا تحت كلمة معارفك؛ الذين علموا أن الأسطورة تحققت وأنك الڤولدن. حينها تصبح المعرفة داء.

-أنا محاط بالمخاطر من كل جهة كما يقول الجزائريون: "محشيا فيا".

تجاهل مزحتي كأن لم يسمعها وأكمل بصوت حازم:

-البند الثاني:

" ينتهي أمرهم إذا قتلت 15 منهم "

-قتل الوحوش! أنت تمزح.

-لديهم أشكال عدة ويمكنك وحدك دائما قتلهم بالفضة، ثم أردف:

-البند الثالث:

"يمكن للڤولدن اجتياز اختبار، اختبار اختياري. موت أعداء الڤولدن إذا نجح، موته إذا رسب "

-مهلا! تتكلم عن الموت بسلاسة وكأننا نريد قتل الذباب وليست حياتي!

-أنصحك ألا تخوض الاختبار لأن لا ڤولدن خاضه ونجح فيه. لا تخضه الا إذا انقطعت كل السبل.

-سأكتفي بالبند الثاني فحسب. أصبحت في سباق لا مجال للخسارة فيه.

-بالمناسبة فأنت متأخر جدا. هل سمعت بالحادثة التي هزت العالم؟

-رأيت خبرا عن مقتل 15 شخصا و10 منهم هم من مجموعتنا.

-ليس عشرة؛ بل كلهم من مجموعتكم، 14 منهم قدموا قرابين.

-أظن أن البند ينص على معارفي فقط؟

-منشورك الأخير وتعليق يحيى عليه جعلهم يعرفون.

دمعة سقطت دون استئذان وحرارة داخلي كأن روحي تحترق:

-أنا السبب في موتهم! قتلت أصدقائي بخطئي! (شددته من كميه غاضبا) لماذا لم تخبرني بالقواعد؟ تركتني كالجاهل بمفردي!

هبت ريح مفاجئة نقلت شيئا من النار إلى قدمي الهواري فجعلتني أتركه. وبدأ يحترق ويتلاشى.

-لم أجد الوقت المناسب. اعذرني.

يتلاشى...

-لماذا؟ لماذا؟ أنا أعيش وحيدا دائما فلم لم تأت؟ (أبكي بهستيرية).

يتلاشى...

-عند الأصفار الذهبية[6]يسمح باللقاء.

يتلاشى..

تذكرت أني منذ ليلة قسنطينة تلك لم أبق مستيقظا إلى منتصف الليل. غرقت في التفكير حتى نظرت أمامي لأجد آخر شرارة من النار وأن الهواري تلاشى للأبد. صداع عنيف كأن خنافسا تنخر

[6]يقصد الأصفار الأربعة. منتصف الليل

رأسي. سأفقد الوعي، لا. لا. مر الصداع على خير إلا ألم طفيف في مؤخرة الرأس. علي العودة الى المنزل.

-هل تظن أنك ستنجو! تبقى قربان واحد وننال منك.

قيلت بصوت رهيب جدا. صوت قادم من أعماق الجحيم حيث يعذب أهل النفاق. نظرت خلفي سريعا. رجل متدثر برداء اسود كالوطواط وأنيابه بارزة. عينان حمراوان بلون الدم ووجه تكاد لا تعرف تفاصيله من شدة الرعب. أرتجف كما لو أنني في شهر جانفي. ماذا أفعل؟ قدماي تكفلتا بالإجابة قبل السؤال. البكاء والخوف والشعور بالذنب؛ مشاعر مختلطة في موقف واحد. نسيت اخباركم أن الحقول المظلمة أصبحت مضاءة كبلدتي أو أكثر وأن (العرف) صار منتجعا سياحيا يحوي مخلوقات تخال نفسها في حفلة تنكرية. هذا رجل برأس ذئب وذاك خرق قوانين الجاذبية لنيوتن وذاك برأس جمجمة وفي يده منجل كبيرة. كلهم يتحركون جيئة وذهابا سوى ذالك الوطواط؛ أترى هو زعيمهم؟ ثم، هل هذه الأشياء التي سأقتلها؟ سأجن قريبا.

عدت الى البيت راكضا وأنفاسي ألتقطها بصعوبة. استيقظ أبواي وهما قلقان علي. فتى يختفي من البيت في منتصف الليل. هل

خطف مجددا؟ لا بالطبع، لأني عدت وأزلت المخاوف لكن من ذا الذي يزيل خوفي الآن. صدمة جعلتني لا أنتبه للأسئلة المنهالة على رأسي:

-أين كنت- لماذا تأخرت حتى هذا الوقت- لماذا وجهك أمسى شاحبا.

صعدت غير شاعر إلى غرفتي دون النطق بكلمة ثم فتحت حاسوبي وقمت بحذف المنشور وأمامه أخذني نوم عميق لم أفق منه إلا مع ضوء الشمس.

-الجمعة 18 مارس:

حل صباح يوم الجمعة وبالي فارغ تماما ولم أجرؤ حتى على التذكر لأن أول الفيضان قطرة. هذه المرة سأذهب للفلاحة مع الوالد. بعدما جهزنا أنفسنا رحنا نحو الجبل الأصفر فالحقول توجد خلفه كما قلت سابقا. بخطى متثاقلة نحو الأعلى ثم وجدنا أنفسنا فوقه. لا أرى أي وحش من الأمس! آثار أقدامي موجودة وذالك الجريد الذي أتى به الفتى كومة منه على جانب وجريدتان على جانب. سليمتان! أشعلهما أمامي البارحة فكيف؟ واضح أنه عفريت. توجد آثاري فقط؛ منتجع سياحي ولا آثار أقدام! كنت أرى الهول ليلة البارحة.

نزلنا للجهة المقابلة حيث البساتين فحيانا العم "صلاح". هذا الرجل يحب الحقول كحبه لعينيه وهو من يهتم بأرضنا عندما يسافر أبي. الأرض مصبوغة بلون بقايا الحشيش الصفراء دلالة على انقضاء موسم الحصاد؛ لكن موسم تلقيح النخيل لازال في بدايته. نخيل مصطفة على الجوانب كأعمدة مخرجة عراجينها البكر –أو ما تسمى بالأغاريض– تنتظر الرياح لتلقيحها؛ وكعادة سكان الجنوب لا ننتظر الرياح، بل نقوم بالعملية بمفردنا. نأتي بعرجون الطلع ونقسمه لأجزاء –أسلاك ان صح التعبير– ونصعد للنخلة آخذين معنا ست أو سبع أسلاك على حسب عدد العراجين. نتسلق العمود ثم من العمود الى قلب النخلة بين الأشواك حتى تضع أقدامك على باطن الجريد ويسموها عندنا ب(التزبرين) وفي الأخير تقسم تلك الأسلاك على عراجين النخلة وتكون أكملت عملية التلقيح. أما عن النزول إلى الأرض فيحتاج إلى دقة كي لا تنزلق وتسقط أرضا. لا أحد يحب السقوط من فوق ست أمتار أو سبع. العملية كلها تحتاج منك أن تكون شجاعا أولا: تقف وسط نخلة طولها ستة أمتار والرياح تحركها يمينا وشمالا؛ وتكون بيولوجيا لا يتقزز من الدم لأنك سترى منه الكثير يغطي جلدك. وجيولوجيا تعرف خصائص التربة التي تستطيع السقوط

عليها والتي لا تستطيع. وألا تكون طالب وقاية لأنها مليئة باحتمالات الخطر التي لن تناسب دراستك. (على كل أنا طالب وقاية حاليا ولازلت أقوم بهذا إلى اليوم. لا تخبروا أحدا بسري). بينما أبي ينهي أعمال الزرع كنت أكملت خمسة عشر نخلة وأنوي الصعود للسادسة عشرة لكنه ناداني للعودة فالوقت حان لغسل الجمعة.

وجدت رسالة في المنزل قرب الباب لابد أن أحدهم دسها من تحته؛ ورقة بيضاء والبلاط أبيض لذا لم ترها أمي. انحنيت كمن يريد ربط حذائه والتقطتها في سر وهرعت لغرفتي لأفتحها هناك. غيرت ملابسي بعدما انتعشت بالماء الساخن؛ وأنا قرب المرآة لمحت زرعا أسودا بدأ ينبت على صلعتي وذالك الحرق تحت عيني تقلص سنتيمترا؛ لا شك في هذا، مثلما قال الهواري تماما. جلست على فراشي فاتحا الرسالة المكتوبة بخط منمق وجميل:

"السلام عليكم أيها العباس.

-لعلك سمعت خبر الضحايا الخمسة عشر وأنهم أعضاء في فلسفة مريض نفسي. نحن نشك أن العصابة عادت لتنتقم ونود حمايتك منهم. لذا أستدعيك لتكون ضمن فريق التحقيق.

العنوان والموعد مكتوبان على ظهر الورقة. (قسم الاستخبارات) "

قلبت الورقة ووجدت في ركن منها: **"قرب الجبل الأصفر عند الأصفار الأربعة"**

اممم.؛ عرض مغر لقضاء عطلة بروتين مغاير وربما أجد معلومات تنفعني. رن هاتف المنزل فذهبت إليه أمي مسرعة: " آلو. من؟ ":

-أنا صديق العباس وأود أخذه ليقضي العطلة الربيعية معي لو سمحتم.

-نحن لا نعطي ولدنا لكل من هب ودب يزعم أنه صديقه.

-يمكنك سؤاله عن اسم عبد الجليل وسيجيبك –خدعة سنعرف معناها في ما بعد– وإن أردت سأعطيكم بطاقة هويتي ورقمي وعنواني كي تعطوهم للشرطة ان أصابه مكروه.

-علي إخبار أبيه بالأمر كي يأخذ القرار. لكن متى ستأخذه؟

-إن وافقتم ستعرفين الاجابة صباح الغد. سأعاود الاتصال بعد الصلاة.

(طيط. طيط) انقطع الاتصال.

لا أظن أن أبي سيرفض، خصوصا بعد النتيجة التي حققتها في الدراسة.

عدنا من صلاة الجمعة وأنا الآن في غرفتي بعد أن تناولنا الغداء وبعد أن اتصل عبد الجليل وأعطاه أبي الموافقة بشرط أن يعطيه بطاقة هويته. ورغم الحاح أبي لم يخبره بموعد أخذي وأخبره أنه سيعرف حين يأتي الموعد. مهلا! عبد الجليل! كيف نسيت! لقد مات عبد الجليل في ڤالمة فكيف! على كل سألتقيه اليوم وسنرى ان كان هو أم شخص آخر. وقفت قرب النافذة ووجدت أن الوقت حان للتفكير بعد زولان رعب أمس. لماذا لا ترى تلك الأشكال في النهار! هل لا تظهر إلا ليلا! وأنا غارق في أفكاري لمحت حمارا في آخر الشارع. حمار غريب، حمار كأنه قطعة من الجحيم، حمار يقف على حافرين؟!

***

الثانية ابتدائي حين تكون معذورا في كل شيء، لو أقمت الحرب العالمية الثالثة ف (خلوه مازالوا صغير). كنا نلعب في الأزقة

والشوارع وفي كل مكان. هذا قبل أن أصعد للمتوسط وينقلب علي أصدقائي ليجعلوا مني طبلا للضحك والسخرية. كنا عند الظهيرة نحب الخروج للعب في الحقول. نكسر الزرع ونقتل اليعاسيب والخنافس، نصب الماء في جحور العقارب لتخرج ونلعب معها. طفولة صاخبة بالضحك والمرح. كان هذا الوقت محرما علينا بسبب أنه وقت القيلولة وليس وقت الهيام في الأزقة تحت أشعة الشمس، فكانت الجدات رحمهن الله يقلن لنا ألا نخرج في الظهيرة كي لا يعضنا الحمار. كنا نتحدى هذا الكلام لأننا -كما زعمنا- لا تقدر علينا الحمير، وهي اصلا تخاف من العصي.

-الجدة:

"لا تخرجوا للشارع عند الظهيرة وإلا عضكم الحمار. لا تفتحوا الباب لمن يأتي عند الظهيرة. العبوا و اتعبوا في الصباح كي تناموا عند الظهيرة.ان من يعضه حمار الظهيرة لا يعود للبيت مجددا."

أسطورة لتخويف الأطفال كانت تحكيها الجدات لكنها بدأت تنقرض، لأن هذه الأشياء لم تعد تخيف أطفال هذا الزمن.

أسطورة لا أحد يعلم بدايتها ولم ير أحد هذا الحمار يوما، لذا بقيت أسطورة بعيدة عن التصديق. أسطورة في عالم الماديات لكن ماذا لو صرت ساحرا ترى الجن أو كنت حارسا لڤولدن أو كنت ڤولدن مثلي؛ بالطبع لن يسرك ما ستراه.

***

"إن من يعضه حمار الظهيرة لا يعود للبيت مجددا."

***

حمار يقف على حافرين ويطرق أبواب البيوت ولا أدري لم. حمار ضخم نهيقه يصم الآذان. حمار أحمر كأنه قطعة من نار –هل رأيتم حمارا أحمر اللون من قبل؟–. حمار لا يراه الناس لكني أراه، أراه وقد اقترب من باب بيتنا يريد طرقه. اللعبة بدأت منذ زمن، صحيح أنني متأخر، صحيح أنه قد تبقى قربان واحد، صحيح أن الخمسة عشر لم تبدأ حتى، لكني سأبدؤها الآن، حملت سكينا كبيرة من المطبخ ودون أن يراني أبواي. الصباح كان متعبا لهما لذا

هما في قيلولة تائهين. وصلت قرب الباب فأزحت مزلاجه كي يبقى في وضع المغلق المفتوح. ثم الانتظار، واحد. اثنان. ثلاثة. اندفع الباب بسبب دقه القوي ليكشف عن جثة حيوان بطول المترين. حمار واقف على قدمين. هاهاها رسوم متحركة –لو كانت تجسد الرعب–. بدون تفكير وثبت عليه كالقط غارسا السكين في قلبه. رجوت أن يكون قلبه هناك بالفعل. أصدر صوتا يصم الآذان؛ كادت طبلة أذني تخرق لولا أن وضعت إصبعي فيها. علمت من هذا أن لا أحد يرى ويسمع هذا المسخ، لو كان ماديا لاستيقظ الجيران. أراد ضربي في محاولة بائسة للانتقام لكني ابتعدت عن طريق يده لتصطدم بالباب. صوت فظيع جعل أبي يستيقظ. صوت الخطوات يقترب وعلي نزع السكين من قلبه؛ سيكون من العسير علي تفسير سكين يطير في الهواء. لم آخذ جهدا في التفكير فقد سقط المسخ أمامي ميتا. أردت نزعه لكن أبي وصل قبل هذا ووجده واقفا على قبضته والباب مفتوح لآخره: "هل تمارس لعبة تثبيت الأشياء؟" وجدت سؤاله مثاليا لنجاتي فقلت: "نعم؛ أردت فعلها أمام الهواء المتحرك لذا فتحت الباب". استدار عائدا وهو يقول: "ليس هذا وقت اللعب يا فتى؛ أعد السكين للمطبخ وأغلق الباب كي لا يدخل حمار الظهيرة ويعضك". لم أصدق ما حدث!

أسقطت الضحية الأولى وأسئلة كثيرة دخلت عقلي فجأة: ما نوع المناعة التي اكتسبتها؟ -هل إذا ضربني حينها لن يحدث لي شيء؟- لماذا كان قتله سهلا هكذا؟ ثم كيف قتل وهو لم يتجسد بشكل مادي؟ في منتصف تفكيري دخلت رياح قوية من الباب حاملة معها شعلة من نار التصقت بحافريه ثم يحترق. يتلاشى شيئاً فشيئا.

أغلقت الباب وعدت لغرفتي أنظر لنفسي في المرآة. الشعر يغزو الصلعة يوما بعد يوم، ذالك الحرق أصبح بحجم الدرهم. آلمني قلبي فجأة كأنه ضخ دما زائدا، دم يحمل كثيرا من الندم. قتلت إخوتي بغبائي. سأدخل الفيس بوك وأتخذ قرارا حاسما. ذكرياتي بحلوها ومرها في هذا العالم الافتراضي ستختفي الآن. أرسلت لجميلة أودعها ولجميع الإخوة الذين أعرفهم من فلسفة مريض نفسي. سأعتزل للأبد.

الاعدادات –ملكية الحساب والتحكم فيه– حذف الحساب.

****

الزمن: الجمعة 23:55

المكان: قرب الكثبان الرملية.

عدت لذالك الكابوس مجددا. أنهيت التدابير اللازمة للسفر والان أنا واقف قرب الجبل الرملي وآلاف الأصوات تتردد هنا وهناك. أشكال غريبة ومرعبة وجسم مستطيل بطول المترين ينزل من القمة؛ يتجه نحوي؛ يقترب. له هيئة تشبه البشر وعينان ذا خط طولي كالقطط ووجه رمادي وأنف مشقوق في المنتصف ونابان بارزان. متدثر برداء اتضح لي فيما بعد أنهما جناحاه. يشبه الكونت دراكولا كثيرا.

-بل أنا دراكولا بشحمه ولحمه وقد تبقى قربان ويفتح الباب الثامن.

يقرأ الأفكار أيضاً. كيف سأقتل هذا الشيء؟

-لا يمكنك قتلي ببساطة. لست كتلك المخلوقات الضعيفة.

-حتى أنا قتلته بسهولة وقتلك ليس مستحيلا.

ضحك ضحكة طويلة ثم تحول صوته للصوت الذي حدثني به البارحة. صوت من أعماق الجحيم حيث تنطق الصخور ألما:

-أما قبل فما قتلته هو حمار وأما بعد فالحمير خلقت لتركب. وأخيرا فتلك كالذباب في جانب النجوم[7]. ألم تلاحظ أنك قتلته بالحديد؟ الهول سيلاحقك بعد اليوم. سترى من قطع رأسه ومن حرق حيا ومن دارت مفاصله ومن يموت وهو ميت. كل وحش وتخصصه؛ يمكنك حتى اختيار الميتة التي تناسبك. هاهاها.

الوقح إنه يضحك مثلي!

راح يصعد (العرف) بأريحية وقدماه مرتفعتان عن الأرض. دراكولا كما وصفته الروايات والكتب إلا أن الواقع أرعب من الخيال. يصعد إلى أن وصل المنتصف فأدار رأسه كالبومة ينظر إلي وعيناه ثابتتان وجسده يواصل الصعود. عينان حمراوان تراهما من بعيد. صدمة رعب عنيفة أصابتني جعلت جسمي ثابتا دون حراك حتى جرس السيارة الواقفة بجانبي لم أسمعه إلى أن نزل شاب منها أمسكني من كتفي فانتبهت إليه يقول: "هيا بنا". أجبته وقد نسيت لم أتيت أصلا: "إلى أين؟" أومأ برأسه أن أصعد فرضخت للأمر فليس لدي جهد للمقاومة. ليس في قدماي جهد للسير أصلا. الرعب سيد الموقف.

[7]المكان الذي جاءت منه هذه الوحوش وذكر في رواية جانب النجوم لأحمد خالد التوفيق رحمه الله

رحنا نعبر المدن والقرى إلى أن وصلنا لرڤ[8] واسع، فنطق أخيرا الجالس قرب السائق:

"الضحية الأولى تسكن في مدينة أدرار وسنذهب الى هناك". استعدت وعيي بعد أن قالها وعلمت أننا سنسافر 230 كلم. ثلاث ساعات كانت كفيلة بإيصالنا قرب منزل على ضواحي المدينة. منزل متوسط الحجم من طابق واحد وواجهة توحي بالبساطة. "هيا لنسترح" قالها السائق ثم فتح باب السيارة ونزلنا بدورنا نقف أمام البيت إلى أن أولج المفتاح في القفل ورحنا نجوب الغرف وهو يقول: "بيت أحد المخبرين -سيأتي في الصباح- ونحن سنبيت فيه". غرفة الضيوف معدة بأفرشة مريحة وتلفاز من نوعية متوسطة. جلسنا نتحدث قليلا ثم سألتهما عن الوعد الذي قيل لوالدي عن بطاقة الهوية فأخبراني أنهما دساها تحت الباب قبل أن يأتيا إلي، وفي الصباح سيجدانها ويعرفان كل شيء. ثم عن عبد الجليل الذي اتصل فقالا انه أحد العملاء وليس صديقي، لأنه مات في ڤالمة ذالك اليوم.

[8] وتسمى ب "الحمادة"

الساعة الآن 03:15 ولا ضير في أخذ قسط من النوم نريح فيه أجسادنا من تعب الحفر التي تملأ الطريق.

السبت 19 مارس:

نمنا ثلاث ساعات واستيقظنا نعد أنفسنا للعمل. بطاقة بوليس مزورة، هاتف نقال، لباس لا يثير الشبهات، أعطوهم لي فأصبحت جاهزا بأتم معنى الكلمة، وصاحب المنزل أتى وهو قائد مجموعتنا:

-لدينا أربع ولايات (أدرار – بشار – وهران – العاصمة) وسنعمل بشكل سريع، فبقاءنا في منطقة واحدة 24 ساعة سيفضح أمرنا.

-هناك فريق آخر في الجزء الشرقي من الوطن. الوقت ضيق والمهمة صعبة. عليكم ترك أعينكم مفتوحة؛ أي شيء بسيط قد يكون طرف خيط. (أدار وجهه ليقابلني ثم أردف):

-لست مجبرا على العمل لكن يمكنك مساعدتنا بعينيك، فثمانية أعين أفضل من ست. (نظر الى البقية وأكمل: إليكم خطة العمل:

-نذهب لبيت الضحية بصفتنا محققين.

-نفتش غرفة الضحية ونستجوب أقرب الناس إليه.

-نذهب لثلاجة حفظ الموتى نعاين الجثة (ستسلم الجثث للأهالي بعد5أيام وقد انقضى يومان على جرائم الضفة الغربية يعني تبقت ثلاثة أيام)

-في الأخير نجمع المعلومات وندرسها.

سندرس العشر ضحايا الموجودين داخل الوطن ثم سنسافر للخمسة الباقين. بالطبع أعلم منذ البداية أن لا جدوى من تحقيقاتهم لكن أريد البقاء إلى النهاية لعلني أجد معلومات تفيدني أو ربما أجد نقاط ضعف لتلك الوحوش، من يدري. وأيضا فلا يحظى المرء بجولات سياحية كل يوم.

بعد إكمال الضحايا الموجودين داخل الوطن أسفرت إلى عدم وجود خيط واحد يدل على أن هذا من فعل العصابة. أما أنا فقد وجدت الكثير والكثير سأحكيه لكم؛ وبعض الأشياء الأخرى ستعرفون كيف عرفتها عندما أنتهي من قصتي كلها؛ أرجو أن تكونوا صبورين.

-لخصوا التحقيق في:

كل الضحايا يتعدى عمرهم العشرين.

كلهم بدون سوابق عدلية وحياتهم نظيفة -سوى واحد -.

الضحية الأولى علم بموته وودع خطيبته.

الضحية الأولى والخامسة والسادسة كانوا على وشك الزواج.

الضحية الثالثة والرابعة هما زوجان.

كل الجرائم تدل على أن هذا فعل خوارقي ولا شك أنه عمل ساحر.

كل الضحايا من مجموعة فلسفة مريض نفسي.

كل النقط السابقة لا تقدم شيئا في التحقيق سوى النقطتين الأخيرتين التي قررت الاستخبارات التركيز عليهما. فلسفة مريض نفسي ستخضع لفحص شامل. جميع المنشورات والتعليقات سيفتشونها -رغم أنهم بدأوا بهذه العملية منذ بداية التحقيق- وسيستجوب جميع الأعضاء الموجودين والراحلين؛ كل شيء فيها سيقلب رأسا على عقب. راق لي شيء واحد في هذه العملية وهو أن الأصنام ستستجوب أيضاً.

قبل أن ننطلق في سيرة الضحايا سأحكي لكم بعض المواقف المملة التي عاينتها وفريق التحقيق. هيا بنا:

***

الموقف الأول:

مدينة أدرار:

بعد استجوابنا لعائلة الضحية وأقربائه رحنا لمصلحة حفظ الجثث لنرى الجثة فسمح لنا بالدخول باعتبارنا محققين. من يراني يخال عمري في العشرينات لذالك لن يشك أحد في أمري. أدخلونا إلى رواق طويل على جانبيه ثلاجات كبيرة متراصة، الجو كئيب وموحش هنا كأنك في مقبرة تسير ليلا. الرجل الذي يقودنا يلبس مئزرا أبيضا ويدخن كأنه قاطرة بخارية. المهم أنه يعرف ما يفعله. الثلاجة رقم 78، فتحها ليرينا ما في داخلها، جثة شاب في العشرين، مقطوع الرأس وموضوع على صدره، متجرد الملابس إلا شيء أبيض كالمنشفة شكلا موضوع على عورته ليسترها. غريب هذا، انطلق صوت كتكسر العظام كأننا عند جزار، سألنا الرجل عن ماهية الصوت فقال إنه يسمعه منذ أن أتوا بالجثة فكلما غلقت الثلاجة توقفت الطقطقة. رحلوا ولم يشأ أن يخبر أحدا بهذا.

لم يروا شيئا مما رأيت. شياطين بحجم الجرذان لها قرون سوداء ونيران زرقاء تشتعل منها. ماذا تفعل في الثلاجة؟ ستعرفون الاجابة بعد قليل. دنا المحقق منها ومد يده ليتحسس الجلد البارد ثم أمسك ذراع الفتى ورفعها قليلا فسمعنا ذات الصوت (طق. طق) فارتخى نصف الذراع كأنه ممسك بأنبوب ماء. ترك الذراع مذعورا ونظر إلينا وقال: "إن عظامه تتكسر. لازال يموت وهو ميت

" سترى من يموت وهو ميت. "

الكونت دراكولا

الموقف الثاني:

ولاية بشارليلا:

سنسافر بالطائرة بعد الآن فقد أضعنا يوما كاملا في ضحيتين فقط. مررنا بعمل شاق ولا زلت مستيقظا أتصفح الانترنت بالهاتف الذي أعطوه لي، أبحث عن معلومات عن أنواع الوحوش وكيفية قتلها. مصاصو الدماء والمستذئبون يموتون بطعنة من نصل فضي -كما قال الهواري -. لا توجد معلومات أخرى سوى القتل بالفضة والتخويف بالثوم. رفقائي نائمون الآن. سأنام بدوري، وضعت الهاتف بجانبي.

الوقت يقترب من الأصفار الأربعة. الغرفة مظلمة إلا ضوء القمر يجعل تمييز بعض المعالم ليس بالعسير. هذه خزانة الملابس وهؤلاء الرجال كالموتى، وتلك النافذة الصغيرة بستائرها السوداء، ستائر؟ من يضع الستائر للنوافذ الصغيرة؟ جلست في مكاني لأتبين هذا الشيء، رداء أسود طائر يغطي جزءا من عصى. أردت الاقتراب لأتأكد أني لست أهذي، لست أهذي للأسف. استدار الرداء ليكشف عن هيكل عظمي مختفي وراءه؛ وتلك العصى لم تكن سوى منجل. منجل كبيرة فحسب. هيكل عظمي له عيناي سوداوان. منجل تغطيها الدماء كأنها فصلت مئات الرقاب عن

أجسادها. سأصرخ؛ كيف وحبائلي الصوتية لم تعد هناك. دائما أظن أني لن أرتعب مجددا لكن الرعب شعور لا إرادي. تحاملت على نفسي حاملا النصل الفضي الذي أخبئه إلا أني سمعت طرقا في النافذة فاختفى ذاك الشبح. الطرق الخفيف متواصل، نهضت أزيح مزلاج النافذة، رجل يقف بجانبها أستطيع رؤيته بوضوح تحت ضوء القمر، عينان زرقاوان وبنية ترعب الأعداء. إنه باسم يقف أمامي حيا يرزق.

-سأفتح لك الباب. لا أبقيك واقفا في الشارع.

-لا. تمهل، أتيت أنصحك بشيء وأذهب. لا تدع شيئا ينسيك شيئا آخر.

قالها ثم راح يمشي بمحاذاة الجدار. ناديته كثيرا إلى أن فقدت الأمل، فهرعت ألحق به لكنه كان قد ضاع في بنايات القرية.

"لا تدع شيئا ينسيك شيئا آخر"

لم أفهم النصيحة إلا متأخرا. متأخرا جدا.

الموقف الثالث: الأحد20 مارس 2016

الطائرة (بشار– وهران):

نحن في طريقنا إلى وهران جوا كما ذكرت آنفا. الطائرة هادئة ولا توحي باحتوائها مائة رجل انتحاري كما حدث في ورقلة. حتى المضيف يكاد يغرس أنيابه في المسافرين بسبب ضيق خلقه؛ وهذا يريحني، لأن أصحاب الخطط دائما يخفون أي شيء قد يكشفهم وأراهن بقلبي -بعدما خسرت كليتي في رهان سابق- أن هذا المضيف بريء كطفل ولد حديثا.

أنا جالس قرب النافذة أنظر للأراضي التي نحلق فوقها. لاهي مدن ولا صحراء ولا هي (رڤ)؛ أظنها أرياف وكنا نحلق فوق ولاية تندوف. رأيت نقطة بيضاء تشع، كمن يعكس أشعة الشمس على وجهك بقطعة زجاج. هل هناك شيء يمتد بريقه من الأرض ويصل إلى هذا الارتفاع! ناديت الجالس جواري ليرى فاتهمني بالهذيان. علمت حينها أن الضوء هذا له علاقة بتلك الأشياء.

بعد هذا مر من جانبنا شاب أسود العينين لحد مرعب؛ ذو وجه دائري وبشرة سمراء؛ ألم تروه من قبل! أنا رأيته فوق الجبل الأصفر. استندت على فخذي زميلي لأراه أين سيجلس؛ لم يجلس

وإنما ذهب إلى آخر الرواق ودخل جهة المراحيض. لا بأس؛ سأنتظر خروجه.

كما توقعتم تماما. لم يخرج طيلة تلك المدة، وعند نزول الطائرة في المطار سألت المضيف عنه فأجابني في عصبية أن لم يدخل أحد للمراحيض سوى رجل بدين وامرأة. أين اختفى!

"سترى وتسمع أشياء تفوق العقل البشري. عاملها كسراب لأن لا أحدها سيؤذيك"

الهواري

لماذا نرتعب عند رؤيتنا الأفاعي رغم كونها بعيدة؟ لماذا نخاف الارتفاعات رغم وجود حاجز الأمان؟ ضع نفسك في هذه المواقف يا هواري لتعلم لماذا أعضائي تصفق وقلبي ينبض بسرعة جنونية. علي إنهاء هذا الكابوس بأسرع وقت.

الموقف الرابع:

وهران:

كنت قد قلت لكم أن ضحيتان من الضحايا هما زوجان. رحنا نزور تلك العائلة الكبيرة ودون أن ننسى أن الحزن مسيطر على تلك المدينة بسبب سمعة الزوجين وأخلاقهما. بعد تقديم عزائنا وطلبنا رؤية بيت الزوجين سمحوا لنا برحابة صدر وهم يدعون لنا أن نجد هذا القاتل.

بيت عادي ككل بيوت ضواحي وهران سوى بعض الفوضى هنا وهناك. وصلنا عند باب غرفة النوم باعتبارها موقع الجريمة. أدخلنا المفتاح الذي أعطوه لنا في القفل فسمعنا الصوت المميز لفتح الأبواب. أصدر الباب صريرا يتماشى مع ما رأيناه في الداخل. الجدران مطلية بالدماء وقطع لحم صغيرة لم يستطيعوا تنقيتها تماما. جرت هنا مذبحة بمعنى الكلمة، راح أحد المحققين يتقيأ في الخارج من بشاعة المنظر. ضغطت على نفسي ورأيت شيئا ما واقفا في ركن الغرفة المظلم، شيء من أشياء، قدم كبيرة وأخرى صغيرة، رأس رجل وأنف طفل صغير، يد بلون والأخرى بلون، له عين واحدة وجسده تكاد تقسم أنه خارج من جهنم حيث يذوب النصف ويتشكل الآخر من جديد. مسخ بمعنى الكلمة. لم يترك لي

وقتا للفزع وراح يقول: **"كل الڤولدن انتحروا ولم يتركوا لنا الفرصة لقتلهم؛ لا أظنك ستنتحر وهذا يسعدنا كثيرا. قربان واحد ونحن نعلم كيف سنجده حتى لو لم ترد"**. "هل رأيتموه؟" قلتها وأنا أشد طرف ثوب المحقق؛ "هل رأيتم الواقف في الركن؟" بدا عليه الضيق، فهذه المرة الثانية ولا يليق بمحقق أن يفقد عقله.

إن جعل بشري يعرف حقيقتي لهو أمر صعب لكن ليس مستحيلا، خصوصا وكثيرون يعرفونني. علي قتل هذه المسوخ؟! الانتحار أسهل.

الموقف الخامس:

وهران مجددا:

على غير العادة تركتهم يبحثون في مسرح الجريمة وخرجت للشارع أستنشق بعض الهواء. الناس تأتي وتروح، لاس فيغاس، كما يصفها الناس (أصبحت شاعرا هاهاهاها). كنت جالسا على مقعد في الحديقة المجاورة وأتابع هذا الكم من الناس حتى أن أحدهم

جلس بقربي ولم أنتبه له. فتاة غريبة ذات ملامح مخيفة قليلا ولها عينان سوداوان لحد مرعب لها وجه أسمر قلما تجده هنا في وهران. "نحن برءآؤا من دم أصدقائك" قابلت هذه الفتاة من قبل لكن أين؟ تذكرت! انفجار إطار العجلة بين المنيعة وعين صالح؛ الفتاة التي لم أدر كيف جاءت ولا كيف رحلت. كان اسمها شيماء ان لم تخني الذاكرة؛ وواضح أنها لا تحب المقدمات. بصوت خافت سألتها "التقينا من قبل على ما أظن! " ابتسمت بطرف فمها وقالت: "لا ينسى المرء بهذه السرعة. لم يمض شهر حتى". وضعت قدمي على فخذي ويدي على ركبتي المثنية -جلسة المقاهي التي أشبعنا المعلمون ضربا بسببها-هذه الفتاة تعرف الكثير وجلسة المقهى أفضل وضع لتصفية الذهن، لأن حوارا شيقا سيبدأ:

-على من يرجع ضمير "نحن" في جملتك الأولى؟

-نحن معشر الجن نعرض عليك المساعدة. عدونا واحد.

-كنتم تنوون قتلي والآن تعرضون المساعدة.

-نحن وأنتم نعيش معا منذ القدم. نمشي بجانبكم أحيانا ولا تدرون. هل تساءلت مرة عن الشخص الذي تتواصل معه في الفيسبوك، هل هو منا أم منكم؟ انظر لهذا الكم من البشر، 10٪

منهم هم منا متجسدون في أشكالكم. لا نؤذي منكم أحدا سوى ان كنا مأمورين أو هناك من يشكل خطرا علينا.

-أي خطر أشكله عليكم كي تحاولوا قتلي وأنا في بطن أمي؟

ضحكت من أعماق قلبها ثم تماسكت وقالت:

-كنا مأمورين حينها وأيضا فأنت خطر داهم؛ أي أن الشرطين كليهما توفرا فيك. دعني أكمل وستفهم كل شيء، كنا نعيش في رغد بعدما مات نبيكم سليمان[9] ومرت قرون كثيرة حتى أتت فتاة رومانية حمقاء ودخلت كهف العذراء بداعي اللعب لتجرح عن طريق الخطأ وتفتح البوابة. احدى بوابات جانب النجوم الثمانية.

-وتسربت منها تلك الوحوش. (لم يصدق أحد العجوز رفعت اسماعيل[10] عندما حكى لهم عن مغامراته في جانب النجوم)

-وحوش لها نفس خصائصنا تقريبا؛ لا هي تستطيع إيذائنا ولا نحن أيضاً نستطيع إيذائها. استطاعوا فتح ست بوابات أخرى (الكهل والشاب والطفل والمجنون والحيوان والجني). كل بوابة

[9] عليه الصلاة والسلام

[10] خالد التوفيق رحمه الله بطل سلسلة ما وراء الطبيعة

يحضرون إليها ما يوافق اسمها وينثرون دمه قربها، مثل بوابة العذراء.

-لكن بوابة الجني كيف استطاعوا فتحها؟

-جني وقع في حب فتاة اقتادته إلى قرب البوابة والباقي سهل تخمينه.

-ماذا سيحدث لو فتحت الثامنة؟

-سأبسط لك المعادلة:

لو فتحت الثامنة فيمكنهم ضربنا ويمكننا ضربهم -بالطبع ليس ضرب المعلمين بالعصا-؛ سيفنى واحد منهم مقابل عشرة منا وأصلا عددهم أضعاف عددنا لذا وقعنا معهم **معاهدة سرية** منذ خمسمائة سنة.

هل رأيت الرعب الذي يبثه جني في قلوبكم!، نار زرقاء وتقطيع غير طبيعي للضحايا، تلك الوحوش قادرة على ما هو أكثر، يكفيك أن معشر الجن يرتعش خوفا منهم. أردنا مساعدتك والقضاء على الخمسة عشر قبلهم لكنهم أسرع منا بعشر مرات، يعني أننا أنقذنا واحدا فقط. أنقذناه من سلطة الجاثوم.

-هل تسمون القتل إنقاذا؟

-قتلناه بطريقة عادية. ستعلم ذالك فيما بعد.

-كل ذالك كان بسببي منذ البداية، لو أنني لم أضع المنشور أو لو أن ذالك اليحيى لم يعلق عليه لكانوا أحياء الآن.

-ما حصل قد حصل. فكر الآن كيف ترفع دمائهم عن التراب وتنتقم لهم.

-البوابة الثامنة هي للڤولدن بلا شك.

-بالطبع. مرت خمسمائة سنة ولم يستطيعوا الظفر بأي واحد، ذالك أن منهم من انتحر، ومنهم من خاض الاختبار ولم ينجح، ومنهم من قتلناه نحن عندما تبقى له قربان واحد. أنت أيضاً يوشكون على أخذك، لذا نحن نعرض عليك المساعدة.

-لا أريد. أريد فقط جوابا لأسئلتي: لماذا لا تقتلونني مثل الآخرين مادام تبقى لي قربان واحد؟

-لأننا عايشناكم في المجموعة ووجدناك تستحق لقب الڤولدن. نحن نعتمد عليك، لا تدع جانب النجوم يفتح على مصراعيه.

أردت سؤالها أسئلة أخرى لازالت مبهمة لك أخي القارئ لكنها رحلت قبل هذا.

الموقف السادس:

الجزائر العاصمة (باب الزوار):

الاثنين 21 مارس

الليلة مطر غزير يبلل كل مكشوف، جعل البرد يطرد الناس إلى بيوتهم. ونحن في عمارة من أربع طوابق هي ملك لعائلة واحدة. الطابق الثاني مجهز لعرس شاب على مشارف الثلاثين كان ينوي الزواج في آخر أيام مارس إلا أن القدر جاء بما لا يرضي البشر.

كنا نتفحص غرفة النوم حيث حصلت الجريمة -جميع الضحايا قتلوا ليلا سوى واحد سنعرفه في ما بعد-. قالوا لنا إن الجثة وجدت محروقة وبدون عظام؛ لا جروح في الجثة فكيف اختفت عظامه؟! حتى أن الأهل قالوا أن الشيطان انتقم منه. وعندما سألناهم أجابوا بأنه كان يقوم بأعمال غريبة ومشبوهة. هذا

يفسر وجود كتاب بأوراق صفراء في درج المكتب -احتجزته الشرطة عندها- وبخور مرمي هنا وهناك، ونجمة خماسية مرسومة على السقف – ليس باللون الأحمر كما تعتقدون – بل بالأبيض؛ هل خمنتم مصدر اللون؟ أكد المختصون أنها تحوي مكونات العظم نفسها؟ وكما توقعت أن لا بصمات سنجدها فقد صدق حدسي. أي وحش هذا يخرج العظام ويذيبها دون أن يترك جرحا حتى؟ كنا نفحص الغرفة دون جدوى ففرقة المعامل الجنائية قد أخذت كل ما يثير الريب. إلا شيئا أثار انتباهي وهو قط قبيح الشكل. قبيح وسمين حتى أن الشحم يكاد يغطي عينيه الرماديتين. قالوا إن طباعه تغيرت كثيرا بعد الحادثة. كانت عيناه خضراوان والآن رماديتان وأصبح يختفي طول النهار ويظهر في الليل فقط. هاهاها أكاد أجزم أن له علاقة بالجريمة، لكن سيرمونني بالجنون مجددا وليس من طباعي أن أقتل قطا ذنبه الأكل المفرط.

رحت أفكر في كثير من الاحتمالات. العظام تذاب بحمض؛ مادامت الأساطير كلها حقيقية فهناك وحش المخاط له أمعاء حمضية ذات تركيز عالي؛ لكنه مخاطي ولا يستطيع إخراج عظام

جثة أو إحراقها. لا يوجد مسخ يملك كل هذه القدرات. "أعمال مشبوهة" "كتاب سحر". هناك تفسير واحد لكل هذا:

ثلاثة وحوش اجتمعت في مكان واحد

الموقف السابع: (تحكيه خليلة)

ولاية المسيلة (دائرة مقرة):

كنا في منطقة (القشايش) دائرة مقرة ولاية المسيلة حيث رحنا لمنزل الضحية، رف واسع مستعمر ببيوت هنا وهناك، والمنزل المقصود ليس بقريب من البيوت الأخرى؛ منعزل قليلا كأن صاحبه يحب الأكسجين ويكره ثاني أكسيد الكربون[11]. عندما وصلنا كانت عجوز جالسة قرب البيت وعيناها حمراوان من فرط البكاء. الشرطة لازالت تحقق وتفتش وتحرس وقد سمحوا لنا بالدخول بعد مفاوضات شد ورد. البيت خال من أي أثر للجريمة عدا تلك البقعة السوداء على الأرض، والجدار المقابل لها ليس

[11] الكلمة الشهيرة لرفعت إسماعيل

ببريء. تخيل أنك أتيت بمشعل غازي كالذي يستعمله الحدادون هذه الأيام ووجهته نحو الجدار؛ ماذا سيحصل؟ بالطبع ستتشكل بقعة سوداء عليه، كهذه التي عندنا في موقع الحادثة، إلا أن هذه كبيرة جدا، كبيرة بحيث يستحيل أن يكون المشعل سببها. كبيرة بحيث أن الجدار كله -وبعضا من السقف- تلطخ باللون الأسود. أما تلك البقعة على الأرض فهي موضع احتراق الضحية، لأن وسطها علامات حذاء.

تنهد الرئيس –الذي هو أخي– كمن صعب عليه ابتلاع التقرير وقال:

-ان الذي يحترق لا بد أن يقاوم ويتحرك من موضعه؛ فكيف وجدتم بقعة واحدة سوداء؟

-لا ندري. لكني أظنه مات مباشرة من قوة النار، وقد قالوا أنهم وجدوا قدمي الضحية ورمادا عضويا على تلك البقعة؛ يعني أنه احترق تماما وتبقت قدماه وشيء من ساقيه. يصعب علي قولها ولكن كأن تنينا تجشأ عليه.

هنا تكلم أحمد وقال:

لا جديد في الأمر. كل الضحايا قتلوا بطريقة ميتافيزيقية.

ثم أردف قائلا:

لا تنسوا الضحية التي وجدت فوق عمود من أعمدة الانارة المعطلة في أحد الشوارع الفرعية. عمود حديدي قطره خمسة عشر سنتيمتر وارتفاعه سبعة أمتار. كيف وصلت الجثة إلى هناك؟ وفوق هذا وجدوا عليها آثار مخالب كمخالب النسور، إلا أن النسور لا تسبب هذا الضرر! آثار مخالب عملاقة تركت على جلد الجثة الممزقة كأنها رسمت بحديد مشتعل؛ كلنا نعرف أثر الحديد الساخن على الجلد. الأمر برمته لا يخضع للمنطق.

الموقف الثامن:

ولاية الشلف (دائرة تنس):

اليوم سآخذ استراحة وقد قررت قضاءها في سياحة البلد. سمح لي بهذا وكلف أحد المخبرين بمرافقتي. ليس أي مخبر بل كان أخ حنان التي التقيتها في قسنطينة واسمه أحمد. رجل أعزب في

العشرينات ولن أصف لك ملامحه -أنت تعرف سر الدولة-. كان يريني الأماكن السياحية ويجوب بي العاصمة إلى حد التعب. قصدنا أحد الحدائق وجلسنا على أحد الكراسي التي تخطر ببالك كلما سمعت اسم حديقة. تحاكينا قليلا عما آلت إليه تحقيقاتهم –نسيت أن أخبرهم بأماكن العصابة الموجودة بالبلد، لكنهم كانوا قد عرفوا وداهموا مقراتهم– وكيف أنهم يخشون عودة العصابة للنشاط؛ وهكذا من موضوع الى موضوع حتى اعترف لي بشيء لم أستطع تصديقه:

-هناك سر صغير لازلنا نخفيه عنك.

-وتود اخباري به لأن لا أحد يعرض سلعته دون مقصد.

-تعجبني فيك اختصاراتك. يقولون أن الجن لا تحب اللف والدوران وأظنك تشبهها في هذا.

(هذا شيء عاينته بنفسي مع شيماء). تنهد قليلا ثم أردف:

-أحد الضحايا الخمسة عشر هو من عملاءنا وقد تحفظوا على الخبر.

-كنت أخالهم وضعوا كل ما عندهم في الاجتماع أمس؟!

-ألم تلاحظ أن اسم أحدهم -الضحايا- هو مألوف لك.

-لم أقابل الكثير من الأسماء في الواقع لكن هناك اسم تكرر على مسمعي وهو:"حنان "

نظر أمامه كأنما يركز على شيء والدمع يكاد يغلب عينيه. فهمت ما يقصده حالا. قلت مستفسرا:

-متى حدث هذا وكيف؟

-أولا سأخبرك أنني وأختي حنان نعيش في أحد أحياء دائرة تنس (ولاية الشلف) فقدنا أبوانا قبل عشر سنين من الآن، عشت مع أختي أعمل كل يوم حتى سن بلوغها. ومع مضي الأيام اكتشفنا أن لنا مواهب (ستعرفونها فيما بعد) جعلت المخابرات تطمح لضمنا إليهم. وهكذا مرت الأيام بسرعة وتمت خطبة أختي للمرحوم عبد الجليل وكان عرسهم مقررا في هذا الشهر (واضح أن الناس كلها تحلم بعرسها في عطلة مدرسية) لكن بعد ذاك الحادث أصيبت بصدمة.

-حنان الشرسة التي التقيتها كانت مصدومة وقتها؟!

-بالطبع؛ ولولا ذالك لاستطاعت معرفة كل شيء عنك منذ خلقت حتى ذالك اليوم فهي كما قلت سابقا لديها موهبة قراءة الأفكار.

لازلت مصدوما ولم أستطع السؤال عن شيء فتابع كلامه:

-كنا في عطلة وذهبت لأشتري بعض الأغراض من المتجر. الساعة كانت العاشرة صباحا. وعندما عدت كانت أختي قد غطت في نوم آخر من جهد العمل. نائمة وفوق صدرها مخلوق أسود الخلقة، مرعب لحد تكاد الغرفة تتزلزل من تحت قدميك؛ طوله متر واحد وله عضلات في بطنه كأنه من أشهر الرياضيين وشعر كثيف يغزو كتفيه وأما وجهه فلم أجرؤ على إطالة النظر فيه. تمالكت نفسي فما تحت قدميه هو أختي وأنا سأنقذها حتى لو أتى الرعب شخصيا لمواجهتي. حملت عصا المكنسة المستندة على الحائط ووجهت ضربة بكامل قوتي الى رأسه، لكن العصى اخترقته كأنه ضباب. ثم صرخ في وجهي كأنه الموت، واختفى بعدها. رحت أزحف لها والخوف قد خدر قدماي. تحسست نبضها، لا نبض. تحسست حرارتها، باردة كجثة. نظرت لعينيها فوجدت فيهما حزنا ساكنا –لو كنت تعرفه– حزنا لا يصدر الا من شخص مقتول غدرا (الآن خطان من الدمع رسما على وجنتيه). عندما أتت الفرقة الجنائية

قالوا إن الوفاة حصلت قبل نصف ساعة، وأن آثار مخالب وجدت على الجثة لكنها ليست سبب الوفاة وانما سكتة قلبية مفاجئة. المسكينة ماتت عندما رأت ذالك الهول جاثما على صدرها. سكت كمن أكمل كلامه ثم قال كلاما عجيبا يواسي به نفسه:

"أؤمن أن في كل فراق خير، لكن نفوسنا تأبى فهم هذا لأنها فطرت على فقيدها، ألفته، اعتادت عليه، رأت فيه الشيء الذي كان ينقصها فأبت فهم هذا، ولازالت تأبى".

(رحت أواسيه والدموع تغلبني بدوري).

"عندها تبدأ حياتك الجديدة، حياة ترى فيها الأساطيرتتحقق."

-تبا لك يا هواري فكلامك للأسف الشديد صحيح كله، أولا تنين وثانيا هذا الجاثوم يخرج من الأساطير الاغريقية ليقتل أعز أصدقائي؛ لكن الجن أراحته في آخرلحظة.

الموقف التاسع:

الجزائر العاصمة:

كنا عائدين إلى المقر أنا وأحمد حتى انتبهنا أننا مطاردان من طرف ثلاثة سيارات. ثلاثة سيارات تتبعنا في نفس المسار، يمينا يمينا، يسارا يسارا. في البدء ظننا أننا نسيء الظن فحسب. لكن عندما توقفنا وجدنا أنهم غيروا مسارهم واختفوا، عدنا نمشي في مسارنا فظهرت السيارات من بعيد تلاحقنا. يريدون معرفة إلى أين سنذهب. يبدو أن جولتنا السياحية لليوم جعلتهم يتعرفون على وجهي -رغم أن الشعر الذي غزا رأسي قد غيرني كثيرا-. "أخبرتك عن موهبة حنان التي جعلت المخابرات يقومون بدعوتها، لكني لم أخبرك بمواهبي أنا" قالها وهو يبتسم بطرف فمه وعيناه لازالا رطبين بالدموع. زاد ضغطه على المقود وقال: "تشبث جيدا، سأريك القليل مما أستطيع فعله بالسيارات". راح يخترق الشوارع بسرعة جنونية (الحمد لله أن الليل خيم وحركة الناس في هذه الأحياء تنخفض كثيرا في الليل). كيف سأصف لك الأمر! هل يكفي

قول أنه خرج من أفلام need for speed؟ سائق محترف كأنه خلق للسيارات أو كأنها خلقت له، ما إن يمشي عشر أمتار الأولى بالسيارة حتى يعرف عنها مالا يعرفه صاحبها، موهبته في السياقة لا يشق لها غبار حتى أننا قلبنا الموقف عليهم، بعدما كانوا يطاردوننا جعلناهم يفقدون الأثر وأصبحنا نحن نطاردهم، إلى أن وصلنا إلى حيث مقرهم، بناية مهجورة على جوانب المدينة، هذه معلومة مهمة ستفيد الاستخبارات كثيرا.

الموقف العاشر:

الجزائر العاصمة مجددا:

سألتهم ونحن في الطريق إلى المقر عما إذا كانوا قد وضعوا حماما يطاردني فسألوني عن نوعه ومواصفاته فقلت:

-حمام بلدي لون ريشه أحمر يتخلله السواد وعيناه كعينا روبوت.

قالوا أن هناك اختراعا متطورا ظهر قبل أقل من شهر –بالضبط يوم عدت للمنزل– في الصين وهو روبوت يحاكي الحقيقة ولم يقتنوا واحدا بعد. أخبرتهم عن حبسي له في الكرتون وما حصل بعدها فبدأوا يملون علي قدراته:

-يستطيع أن يشعل بليزر ضعيف من عينيه، ويطفئ باستعمال غاز ثنائي أكسيد الكربون.

-يعمل كأداة تجسس صوت وصورة.

-له ريش اصطناعي معد للطيران وينقر في الأرض للتمويه.

-له عيب وحيد وهو أنه غير مزود بالرؤية الليلية وقالت الشركة أنها ستضيف هذه الخاصية في الأيام القادمة.

أطلقت تلك التصفيرة الشهيرة دليلا على الانبهار وأردفت:

-اختراع مذهل بحق. لو أنني أحكمت امساكه لأصبحت ثريا.

رد أحمد على كلامي بنبرة حائرة قائلا:

-هذه العصابة أكبر مما نتصور. استطاعت الحصول على واحد في لمح البصر.

ماذا تنتظرون من منظمة تدعمها دولة بحجم أمريكا. بالحديث عن أمريكا؛ أظنهم لازالوا يبحثون عمن اخترق نظامهم. لديهم معدات متطورة جدا ولا أستبعد أن يكتشفوا أمري. دعهم يقتلوني وتنتهي هذه المشاكل التي لا تنتهي. رأسي يكاد ينفجر من كثرة التفكير.

***

هذه عشر مواقف حصلت في التحقيق داخل الوطن وهناك خمس أخرى سأحكيها فيما بعد. طبعا ان لم ترموا قصتي في أول مزبلة في طريقكم.

حصيلتي الآن هي أربعة وحوش، فقد قتلت ثلاثة من تلك الشياطين الصغيرة في أدرار. تركت المحققين يحادثون الحارس في الخارج وعدت للثلاجة وباستعمال سكين فضي صنعته –ولا تسألوني كيف– قضيت على بعضها والباقي هرب.

أظن أن لديكم أسئلة هي تجوب في رأسي لم أكن أعرف اجابتها حينها؛ مثل ماذا سيحصل لو أني أكملت الخمسة عشر ضحية؟ هل ستغلق البوابات أم يختفي جانب النجوم للأبد؟ ما هو

الاختبار الذي حدثوني عنه؟ أين تتواجد هذه البوابات الثمان؟ ولماذا لا يفشون سري ويحظون بعشرات الضحايا؟ أسئلة كثيرة كنت أود طرحها على شيماء لكنها رحلت حينها دون أن تودع حتى. هل سألقاها مرة أخرى؟

دعكم من هذا الملل ودعونا نذهب لسيرة الضحايا الخمسة عشر (10 داخل الوطن + 5 خارجه). سأجعل سيرتهم تقال على ألسنتهم، ولا تسألوني من أين عرفت ففي آخر الآخر ستعلمون. هل نبدأ؟ اشربوا أولا بعض القهوة حتى لا يأخذكم النوم من فرط الملل. هيا بنا:

***

الضحية الأولى:

الاسم الكامل:عبد القهار سويتم.

اسم الفيس بوك:نفس الاسم باللغة الفرنسية

العمر:26 سنة.

الإقامة:أحد الأحياء في مدينة أدرار.

المهنة:بناء + موظف في شركة سوناطراك.

-ابن الماما وابن البابا وابن الشارع؛ أصناف الأطفال والمراهقين؛ وفي رأيي لا أحدهم سيصبح رجلا قادرا على مشقات الحياة. اصمتوا قليلا لأشرح لكم هذه النقطة وبعدها قرروا:

ابن الماما من دللته أمه فأصبح كالفتاة ميوعة ودلالا.

ابن البابا من يصرف عليه أبوه فتراه كالعجائز لا يعمل شيئا.

وابن الشارع من سمع كل رذيلة وتلقفها وكبر عليها.

هذه قناعتي في الحياة واتركوا آراءكم لأنفسكم.

أما أنا فأقولها بكل فخر، لست أيا منهم، أنا ابن العائلة ربيت بشكل طبيعي بعيدا عن الدلال والرذائل وأحمد الله على هذا. منذ صغري وأنا أعتمد على نفسي، في الدراسة وفي النفقات اليومية، أعمل لدى هذا ولدى هذا أحيانا، وأعين أبوي في قضاء الحوائج. أكملت المتوسط ثم الثانوي ثم الجامعي دون إعادة عام واحد وأنا الآن موظف في السلك الصناعي -ليس سلكا حديديا بالطبع-. ها! ألم تعرفوا من أنا بعد! أحيانا أحسبكم من الشرطة وأنا مجرم هارب! لا عليكم؛ أنا أحب المزاح مع معجبي ومستمعي حكاياتي؛ إليكم تعريفا أقرب لشخصيتي:

شاب في العشرينات من العمر يعمل بناء –لنفسي في غالب الأحيان– وموظفا في شركة سوناطراك. مقبل على الزواج ومصاب بالبواسير. وماذا بعد؟ ااه نسيت، لدي قصص ميتافيزيقية عديدة ربما سأجمعها يوما في كتيب وأنشرها للناس إن وفقني الله بهذا، متأكد أنها ستعجبكم. المهم الآن، دعوني أحكي لكم أهم شيء وهو ما أحضركم إلى هنا وجعلكم تستمعون إلي.

عدت من العمل على ال14:00 وهو وقت باكر بالنسبة لي، فعزمت على أخذ قيلولة لكن النوم لم يقرر زيارتي. حملت هاتفي الموضوع بجانبي ودخلت الفيس بوك وبالضبط مجموعة فلسفة مريض نفسي. المجموعة الكبيرة التي ذاع صيتها في إفريقيا. أنا قليل النشاط فيها نظرا لانشغالي بعملي لذا لست من الأعضاء المشهورين كخليلة وشاهين ووو. وأنا أتصفح المنشورات وأتفاعل مع هذا وأرد على هذا، ظهر أمامي منشور لعضو قديم كان مشهورا ببؤسه وحزنه وسخرية الناس منه؛ أقول كان لأنه غاب عن الفيس بوك عاما وهو ذا يعود بمنشور يسلم علينا فيه، ولكن ما لفت انتباهي هو الكلمة الأخيرة:golden. توجد أسطورة – رغم أني متحفظ في موضوع الأساطير – تقول أن في كل عشر سنوات يظهر شخص فريد من نوعه يفوق في قدراته الإنسان الطبيعي ويسمى بالڤولدن. كانت قد حكت لي خليلة قصته من قبل وأظن أنه الشخص المقصود لو صدقت المقولة. دخلت للتعليقات فأنا كما تعلمون أهوى رؤية آراء الناس وأتفاعل معها – ويا لها من عادة سيئة – وأحيانا أرد إن لم تعجبني. الكل يرحب به وسعيد بعودته إلا شخصا اسمه يحيى إن لم يخب ظني سأله عن مقصده بالڤولدن التي كتبها. لا شك أن الكل يعرف الأسطورة وأغلب

الأعضاء يعرفون قصة العباس وأظن اليحيى هذا استنتج ما استنتجته أنا أيضاً. همم لا شك أنني محق؛ الڤولدن هو العباس. سأترك استنتاجي لنفسي وأتفاعل مع هذا التعليق بأضحكني.

لا أدري متى ولا كيف نمت. المهم أني استيقظت بعد العصر؛ أنتم تعرفون أن الاستيقاظ بعد العصر لهو فخ نصبته الطبيعة لازال الناس يقعون فيه؛ حيث هذا الأخير ينسيك أين أنت ومن أنت وبعد برهة تعود لوعيك فتجد أن كل عضلة فيك تستغيث طلبا للعون. بدون إطالة عليكم فأنتم كلكم تعرفون هذا الشعور؛ المهم أني تأخرت في النوم فرحت أصلي العصر وأنتظر المغرب مع أبي في البيت. كنا نتحدث عن مصاريف الزواج وكيف سيكون العرس وهل سنقيم (البارود) أم لا. المهم أنه كان حديثا طويلا لم يفتح إلى الآن بسبب كثرة مشاغلي. اليوم فريد بحق؛ لم أحظ براحة مثل هذه منذ شهر؛ العمل كل يوم حتى في الجمعة كنت أقتطع ساعة من وقتي أغتسل وأصلي في المسجد ثم أعود الى العمل. أكثر المقبلين على الزواج هم هكذا؛ قبيل العرس بأشهر يبدأ في إتمام داره التي لم تبدأ أصلا. لكني أحب عملي جدا؛ شهر في سوناطراك وشهر في البناء. ما أدخله هناك أفرغه هنا. لكن شهران كانا كافيين واستطعت إتمامها قبل العرس بأسبوع.

حل الرداء الأسود، الساتر للفضائح، المؤرق للمرضى، وبعدما صلينا المغرب حملت هاتفي لأراسل خطيبتي وأخبرها بحواري مع أبي. أنا جالس في غرفتي مطفئ ضوئها فأنا من عشاق الظلام وبسببه حصلت لي قصص مع الجن؛ مرة أراه في الزاوية يرمقني بنظرة حزينة، أظنه طفلا في العاشرة من العمر، عيناه بلون السماء؛ وثيابه بيضاء مقطعة. ألم أخبركم أن لدي قصصا لا بأس بها تستحق التدوين! وأيضا فأنا أحب الانعزال عن الناس بسبب مرضي فلا أحب شفقة أحد ولا قلق أبوي؛ اعتدته يأتي –المرض– بعد المغرب ويدوم نصف ساعة، كل يوم. لكن ألم أقل أن اليوم هو يوم فريد! انتظرته خمس دقائق ولم يأت حتى سمعت صوت الطفل ذاته جالسا بقربي –لم أدر كيف ظهر ولا متى– على حافة الفراش يقول لي: "ودع خطيبتك فقد حان الرحيل" قالها لي بنبرة لا توصف؛ نبرة لو قيل لك بها أن أمك ستموت بعد قليل فلن تحس بشيء؛ نبرة جعلت قلبي باردا كأني أتلقى خبر موت نملة؛ نبرة جعلتني أحمل هاتفي وأرسل لخطيبتي رسالة مفادها: "لا تبك على وفاتي، بل ادعي لي في صلاتك، وعيشي حياتك وتزوجي، أخبري أبواي أنني كنت ولازلت أحبهما وأن يسامحاني على انشغالي عنهما. ولا تنسي أن تنشري خبر وفاتي في أقرب مجموعة إلى قلبي،

مجموعة فلسفة مريض نفسي". تركت الهاتف من يدي وأنا أسمع أصوات الرسائل تنطلق من هاتفي كصفارات انذار.

-(ترن) هههه مزاحك ثقيل.

-(ترن) أنا أدعوا لك أصلا فلا تخف.

-(ترن) –بعد دقيقة– أين أنت؟ لو كنت تريد اختبار حبي فليست هذه الطريقة المناسبة.

لم أعد أكترث، نبرة من هذا الفتى كفيلة بجعلي أتقبل الموت كأنه عطسة وينتهي.

خرجت من ظلام الغرفة أشياء أشبه بالجرذان –لو كانت الجرذان تمشي على قدمين– لها قرون سوداء ونيران زرقاء تشتعل منها. لا يهم؛ لست خائفا من شيء. سمعت صوتا؛ لا، لم أسمع، الأمر أشبه بالتخاطر العقلي؛ صوت في داخل عقلي يغني أغنية سمعتها كثيرا:

"حلمت حلما في زمان

ما كان عندها مستحيلا

بحب من دون أثمان

وللمغفرة ألف وسيلاَ"

الشياطين القصيرة تقترب من فراشي..

"حلمت بريعان الشباب

ما كان فيه للخوف مكانا

لم تغلق فيه الابواب

والقسم يكفينا برهانا"

بعضها صعد على كتفي وعظامي تتكسر مع كل خطوة على جسدي. أسمع صوت التكسير ولا أحس بشيء. سيصلون للرقبة وينتهي كل شيء.

" ثم حل ظلام الليل

بأطياف تطفو سوداء

تجرف أيامي كالسيل

وقصر أحلامي انهدا"

كنت أنتظر سماع صوت فقرات الرقبة وهي تتكسر ولم أرى الشيء المخيف المرفرف خلفي. هيكل عظمي بكرتين ككرى البلياردو في مكان العينين ورداء فضفاض أسود يحترق في آخره ولا ينتهي، أجزاءه المحترقة تنفصل لتصير جرذانا كأنها من سقر. والأهم هو تلك المنجل الطويلة في يده. عصاها من جلد البقر المذاب على جلد البعير فأحيل لجلد واحد –لا تتعجبوا! كل شيء ممكن في جانب النجوم– ثم فجأة توقفت الأغنية عن التردد في ذهني! ماذا حصل؟ اااه، هل سمعتم مرة عن أغنية تتردد في رأس مرمي في زاوية الغرفة!

الشياطين لازالت تكسر العظام بأقدامها ثم هاهو أحدها ينزل عن السرير ويهرول نحو الرأس ثم (طق طق).

بعد صلاة العشاء دخل الأب ليطمئن على ابنه، لأنه غاب عن المسجد وهذا ليس من طباعه. دخل إلى الغرفة وليته لم يدخل،

ليته أوصد الباب بالمسامير ونسي أن لديه شابا على مشارف الزواج. شاب جسده على الأرض ورأسه في الزاوية حيث تجتمع الرمال. الدماء تصبغ الأرض. ليته لم يدخل.

" قد يغفو بجانبي مرتاح

حلمي وقد يهز سريري

يرسم لحريتي جناح

يشعل شمعا ينير مصيري"

الضحية الثانية:

الاسم :جاسر

اسم الفيس بوك:Jasserchikh

العمر: 21سنة.

الإقامة: ولايةبشار.

العمل: لازال طالبا جامعيا.

شهر مارس حيث يبدأ موسم الحصاد وينتهي؛ شهر مارس حيث تبدأ الراحة وتنتهي؛ شهر مارس حيث يبدأ فصل وآخر ينتهي؛ شهر مارس حيث يبدأ تلقيح النخل وينتهي. شهر مارس في داخله قطعة مستقيم كما درسوها لنا في المتوسط، مجموعة من النقط على استقامة لها بداية ونهاية. هكذا أفكر أنا، المريض بالوساوس كل يوم، حتى علاقتي بأهلي ليست جيدة لأني سريع الغضب وأحيانا أجد نفسي أصرخ على أبوي. لا تلوموني كثيرا فهما يستفزانني أكثر الوقت. فلنعد لموضوعنا. أنا بدأت منذ واحد وعشرين عاما وربما تحين النهاية في مارس؛ من يدري! أليس مارس نقطة الانتهاء لأشياء دورية كثيرة! وأنا حياتي دورية كذلك، نفس الروتين الممل، دراسة الطب ثم الدراسة ثم الامتحانات ثم الدراسة.

فلنتخطى هذه النقطة إلى شيء أهم وهو مجموعة فلسفة مريض نفسي؛ المجموعة التي أكثر أعضائها لم يكونوا يعرفون لم سميت هكذا، (ربما لأن مؤسسها كان مريضا نفسيا أو هو تجمع للمرضى النفسيين) قلت –لم يكونوا– لأن أحد الأعضاء تكفل بمهمة الشرح حيث قال بالحرف الواحد: "فلسفة تعني حب الحكمة، ومريض تعني من به علة، ونفسي من جعلت في نفسه ملة. وكل

هذا يعني أنها مجموعة لتبادل دروس الحياة التي تعلمتها من أوقات مرضك النفسي كالحزن والاكتئاب وغيرهم"

ان لم تقتنعوا بهذا الشرح ولازلتم تصرون على أن مؤسسها (نذير بهلول) مريض نفسي فهذا شأنكم. المهم هو أن هذه المجموعة ليست بذلك السوء ففيها بعض الأصدقاء المرحين كأحمد وساري، وحنان التي صدعتنا بمنشوراتها عن الزواج، مجموعة لا بأس بها أبدا ولا تستحق إبلاغ مارك أو ضغط زر المغادرة. لست من المدمنين [12]على الفيس بوك فطلاب الطب ليس لديهم ما يدمنون عليه سوى الطب. أدخل أحيانا إليه قبل النوم ثم أغادر؛ لكن رغم هذا فأعرف الأعضاء المشهورين، والغائبين مثل العباس؛ غاب عاما كاملا والجميع يعلم أنه كان في مصر وموهبته الفذة في الهكر. اليوم رأيت منشوره يحيي فيه الإخوة ويطمئنهم أنه لازال حيا. منذ أن دخلت الى المجموعة ولم أر منشورا يتجاوز مائتا تفاعل سوى هذا المنشور؛ كأنه ملكة في خلية نحل أو إبليس وسط الشياطين؛ اعذروني على التشبيهين فلم يخطر ببالي غيرهما؛ خمسمائة تفاعل على منشوره! أحسده على هذه الشهرة؛ دخلت لأرى إن كانت حبيبتي أيضاً علقت له فالحبيب يغار كما تعلمون؛

[12]في رأيي أنه مريض نفسي حقا

تعليقات كثيرة أبحث فيها عن اسمها كأم تبحث عن طفلها وسط الزحام. رغم تركيزي على أسماء الأعضاء فقط، لكني رأيت تعليقا جذب نظري من المعلق إلى التعليق، هاجس وضع عيني عليه. تعليق لشخص اسمه يحيى يقول فيه: "ماذا تقصد بالڤولدن؟" حقا سؤال وجيه؛ أسطورة الڤولدن الكل يعرفها لكن القليل فقط من يعرف تفاصيلها؛ فتى يولد كل عشر سنين يتفوق على أقرانه في كل شيء، هذا ما يعرفه الكل، لكن مالا يعرفه الكثيرون هو أن الڤولدن مثل الزهري تلاحقه الجن. مهلا! لقد رد عليه ب: "هذا رمز يخصني!" إذن فهو golden لا ريب. (ترننن) رن المنبه الخاص بي ليعلن انتهاء الاستراحة وحان موعد المراجعة؛ لا بأس بتفاعل على تعليق اليحيى جزاء لدقة ملاحظته (لاحظ هنا أني أخطأت وتفاعلت ب "هاها" بدلا من "أحببته" ولم أجد الوقت لتعديلها بسبب العجلة).

أراكم تتساءلون أين أنا الآن! ظننت الأمر واضحا! في المنزل، وأين سأكون مثلا؟! اااه ظننتموني في الإقامة الجامعية. لست ذا صبر كبير لأعيش مع أطباق الحديد والبطاطا العائمة في مياه البحر المتوسط والزغاريد الذكورية. أعيش في البيت لأن عشرين كيلومتر ليست بالشيء الكثير وأستطيع قطعها يوميا دون مشاكل فلم أرمي

نفسي في الهاوية! على كل لدي ساعة استراحة بعد عودتي من الجامعة ونومة طويلة تبدأ من العاشرة مساءا إلى غاية السادسة صباحا. اليوم مختلف؛ هناك شيء ما ليس في مكانه. يقولون أن أصحاب الحياة المنظمة يحسون بالأشياء الناقصة أكثر من غيرهم؛ وبطبيعة الحال فأنا من هذه الطائفة وأقول لكم أن اليوم مختلف؛ ربما بسبب الفيسبوك وحكاية العباس؛ لست مرتاحا للأمر وأيضا فصوت الطقطقة هذا لا يتوقف؛ طقطقة خفيفة كأنها قطرات ماء في بئر سحيق. الصوت قادم من المجهول؛ رغم ضجة الأهل في آخر الرواق ولكني أسمع الصوت واضحا تماما. لست من النوع الذي يفقد تركيزه وشهيته للعلم بمجرد طقطقة؛ الحل الأمثل لمثل هذه المواقف هو التجا. ولم أكمل الكلمة حتى انطفأ مصباح الغرفة. لست قطا مزودا برؤية ليلية. وضعت القلم على الطاولة فأنهض لإغلاق الدارة لكن يدي اصطدمت بشيء موضوع فوقها –الطاولة طبعا– رحت أتحسسه بيدي. كتلة من اللحم تحوي عظما غليظا بداخلها وفي آخرها انحناء بتسعين درجة، وفي آخر الانحناء تفرعات قصيرة كأنها أصابع، أصابع! ذكرني هذا الموقف بشيء دوري كان يحصل في الصغر وهو أن ترى قلما أخضرا عند زميلك يكتب به فتفتش محفظتك بحثا عن

قلمك الأخضر لتتأكد أن هذا ليس قلمك. مددت يدي إلى ساقي فلم تكن هناك! بدأت مسامات جلدي تفرز ذالك الماء المسمى بالعرق وقلبي يضرب كأنه طبل في احدى تجمعات الهنود الحمر. الموضوع على الطاولة كانت قدمي؛ هذا يفسر السائل اللزج الذي داعب يدي قبل قليل. لكن! لم لا أشعر بأي ألم! ومن فعل هذا ومتى! مقولة شهيرة تقول: "الصراخ على قدر الألم" هذه تفسر سبب عدم صراخي حتى الآن؛ بقيت قليلا قبل أن أتذكر أن هذه ساقي من لحمي ودمي وأنني فقدت ساقا لتوي؛ مهلا! انني أرى شيئا!

كنا صغارا نسمع لفظة الغول دائما وهو لفظة عربية فصيحة من معانيها الوحش الذي يغتال ضحاياه؛ ويعد من المستحيلات الثلاث عند العرب. ماذا لو رأت العرب ما لمحته عيناي في رف الغرفة. دعني أصف لك المشهد؛ جسد انسان نحيل وأظافر كالسكاكين يجرها في التراب من طولها؛ جلده أحمر مشع تراه في الظلام الدامس؛ أصلع الرأس وله قرنان كالشياطين. جلده أحمر لكن وجهه أسود من الظلام، لو وضعته في الظلام لاتضحت معالمه كمن يضع قطرة بنية على سطح سائل أحمر. نسيت أهم شيء! عيناه زرقاوان كأن شرور العالم حجزت فيهما. أردت الصراخ

ليسمعني أهل البيت لكن هل يستطيع المرء الصراخ بدون حنجرة؟ هل يبقى حيا أصلا!

***

والغول بين يدي يخفى تارة * ويعود يظهر مثل ضوء المشعل

بنــواظرزرق ووجـه أسـود * وأظافـريشـهن حـدّ المنـجل

عنترة بن شداد

***

الضحية الثالثة:

×**الاسم الكامل:** ياسر محمد

×**اسم الفيس بوك:** ياسر محمد

×**العمر:**31 سنة

×**الإقامة:** ولاية وهران

×**العمل:** موظف في شركة

الزواج رزق والرزق رزق؛ الأبناء رزق والرزق رزق؛ السعادة الزوجية رزق والرزق رزق. اسمي ياسر محمد وأسكن في أحد أحياء وهران وأبواي وإخوتي لازالوا أحياء وكل منهم على قدر نفسه. مرت سنتان على زواجي وأنا في التاسع والعشرين حينها؛ كنت أعاني من ضعف في الراتب لا يكفي لتغطية حاجيات البيت الجديد ونفقات العرس القادم إلى أن رأيت منشورا على الفيس بوك في إحدى المجموعات يطرح فكرة كالآتي:

"مجموعة فلسفة مريض نفسي تحتوي على الآلاف من الأعضاء - بغض النظر عن الأصنام- لو أننا في كل بلد وضعنا عضوا موثوقا من الأعضاء المشهورين يعطينا رقم حسابه البريدي ونشرع في عملية جمع التبرعات لفائدة المحتاجين ولفائدة المتبرعين أيضاً؛ فأنت حينما تدخل في أزمة مالية يمكنك التواصل مع هذا العضو لأخذ ما يسد حاجتك "[13]

بصراحة، كان انطباعي بين المؤيد والمعارض فهي فكرة ممتازة حقا لكن أين لنا بهذه الثقة بين الأعضاء؛ ثقة لا يهزها المال لا أظنها موجودة في هذا الزمن؛ دخلت لأرى صاحب هذه الفكرة فوجدته

---

13 نسيت أن أحكي لكم هذه القصة

طفلا في الثالثة عشر من العمر، هذا يفسر براءة الفكرة فهو لم ير المحيط الخارجي بعد. بعد أيام وجدت أن الفكرة راقت للكثيرين وطبقت فعلا على ارض الواقع ونصبوا الأعضاء كالآتي:

-صاحب الفكرة من الجزائر.

-بدر الدين ساري من المغرب.

-أحمد من مصر.

-لبنى من تونس.

وقائمة لبقية البلدان لم أتذكرهم. بالطبع كان الاختيار على أساس أشهر الأعضاء في المجموعة وليس شيئا آخر. ثم تذكرت شيئا! صاحب الفكرة هو طفل فمن أين له بحساب بريدي! ربما هو حساب والده؛ لا يهم. راقت لي الفكرة كما ذكرت سابقا رحت لمركز البريد ووضعت ألفا دينار في ذالك الحساب وعدت لحياتي الطبيعية وبعد شهر دخلت في تلك الحبكة من الزمن حيث تضررت الشركة بسبب حادث انفجار قارورة غاز في موقع حساس وتوقف العمل لمدة شهرين والعرس كان مقررا بعد ثلاثة أشهر والمنزل الجديد توقف بنائه في المنتصف. معادلة بسيطة: لا

عمل يعني لا راتب يعني لا عرس. تحطمت في الشهر الأول بشدة ودعوت الله كثيرا أن يخفف عني، ورحت أجوب الشوارع بحثا عن عمل لكن هيهات. في آخر الشهر أتتني رسالة على الفيس بوك من ذالك الطفل! عجيب! أنا لم أكلمه يوما لا في الرسائل ولا في التعليقات فماذا يريد! هل يريد التعرف علي؟! لا أظنه من هذا النوع. لا بأس؛ سأرد عليه:

-وعليكم السلام ورحمة الله.

-كيف حالك؟

-الحمد لله على كل حال.

-سأختصر الكلام وأدخل في صلب الموضوع. أنت شاركت في الفكرة التي طرحتها أنا قبل شهرين وكان من بنودها مساعدة الفقراء وتيسير الكرب على المتبرعين وأنت الآن تمر بضائقة مالية أنا على علم بها وأود منك رقم حسابك لنخفف عنك ثقلك.

-أنا لم أخبر بهذا حتى خطيبتي فكيف عرفت؟

-أظنك خمنت من قبل أنني صغير وليس لدي حساب وأن الحساب الذي وضعته للتبرع ربما حساب أبي أو أحد أقاربي؛ كما خمنت هذا ستخمن أنني همزة وصل لا غير.

- حسنا. سأكون شاكرا لو لم يكن كل هذا مزحة ثقيلة. رقم حسابي هو (....)

ظهر لي أنه قرأ رسالتي ولكنه لم يرد بعدها؛ فقط في اليوم التالي ذهبت لمركز البريد لأعمل كشفا على حسابي لأصدم بالمبلغ المحتوى فيه. أضيفت 126000 دج لحسابي. وضعت الفا دينار فضربت في 63 مرة!! لم أكد أصف فرحتي حينها. هذا المبلغ يعادل راتب ستة أشهر من عملي. لم يكن الأمر مزحة؛ هذا الفتى يعرف ما يفعله. تواصلت مع خطيبتي لأزف لها البشرى فقالت أنها سمعت خبرا مشابها من بعض صديقاتها على الفيس بوك يقولون أن ما تبرعوا به ضوعف لهم ب 63 مرة. من أين أتى بهذا المال؟ أعانني ذالك المبلغ وبتوفيق من الله مر العرس على خير وعشنا عامين يضرب بهما المثل في الحياة الزوجية السعيدة إلى أن أتى ذالك اليوم. كنت أتصفح الفيس بوك في ساعة الراحة وظهر أمامي منشور لذالك الطفل صاحب الفكرة وكان اسمه العباس؛

غاب لمدة عام كامل؛ قالوا إنه اختطف إلى مصر وبعدها عاد. المهم أنني فرحت لعودته بعدما عرفت طيبة قلبه وموهبته في كل شيء، سريع الفهم وذو ثقافة واسعة. وضعت له تعليقا أرحب به ثم رحت أجوب التعليقات بفضولي البشري لأصادف تعليقا لصديقي يحيى، شخص تعرفت عليه في الفيس بوك وقال لي أنه من ولاية عنابة وأصبحنا صديقين مقربين بسبب شخصيته المرحة وأنا أحب أصحاب الدم الخفيف. وجدت تعليقه يقول فيه: "ماذا تقصد بكلمة ڤولدن" لم أنتبه للكلمة في الآخر؛ ڤولدن هي كلمة إنجليزية تعني الذهبي وما إن تسمعها حتى يأخذك عقلك للأسطورة الأمريكية –لو كنت مطلعا على الثقافة الأمريكية– أنتم تعرفونها فلا داعي لأن أذكرها لكم؛ لو نادوني لأتوج شخصا ما بهذا اللقب فسأعطيه لهذا العباس وأظنه كذالك. المهم أن يحيى يدين لي بتفاعل؛ كلنا لدينا ذالك الصديق الذي يتفاعل مع منشوراتك وتعليقاتك ب **أضحكني** دون سبب؛ هذا ما يحصل بيني وبين يحيى هههه.

أعود يوميا من العمل في الرابعة مساء؛ أصلي العصر ثم أغفو حتى المغرب ثم أذهب لصلاة المغرب في المسجد وأعود لزوجتي نأكل شيئا خفيفا ونغوص في الحديث والضحك إلى أن يؤذن

المؤذن حي على الصلاة فأذهب للمسجد لصلاة العشاء وأعود لأجلس مع زوجتي أمام التلفاز وأحيانا نتصفح الفيس بوك إلى أن ينتهي اليوم. روتين لا بأس به وأحمد الله على تلك الحياة الهانئة. في ذات اليوم كنت عائدا من صلاة العشاء، فتحت الباب وأنا أنادي زوجتي: " بلسم. بلسم" لا تجيب على نداءاتي؛ ربما هي متعبة وغلبها النوم؛ من يدري! هذا يحدث أحيانا فأذهب لغرفة المعيشة لأجدها هناك مستلقية فأطبع قبلة على جبينها وأجلس بقربها لكن هذه المرة ليست في غرفة المعيشة. ذهبت لغرفة النوم لأجد سائلا يخرج من تحت الباب لم أتبين كنهه بسبب الضوء الباهت؛ هناك قاعدة أنشأتها من خبرتي في الحياة تقول أن بداية الرعب هي الأسئلة التي ليس لها اجابات؛ ما هذا السائل؟ من أين أتى؟ هذا كفيل لجعل قلبي جرس مدرسة. وضعت يدي على مقبض الباب وأنزلته لأسمع صوت المزلاج ينسحب من ثقب (الكادر)؛ دفعت الباب للداخل فرأيت أبشع وأرعب منظر رأيته في حياتي. الجدران كلها مطلية بذالك السائل، وقطع لم أتبين كنهها تنزلق على الجدران إلى أسفل. خطوت نحو الداخل وأنرت المصباح فأطلق وهجا أحمرا جعل كل شيء باللون الأحمر ورأيت هناك في زاوية الغرفة شيئا أشبه بالمسخ واضعا يدا خضراء على أخرى صفراء؛

كأنه قادم من جهنم حيث يذوب النصف ويتشكل الآخر وعينه الحمراء مثبتة علي لا ترمش أبدا؛ لم أنتبه حينها أن كل الموجودات في الغرفة أخذت اللون الأحمر إلا هو لم يتغير لونه. صرخت فيه والرعب يقطع حبالي الصوتية: "أين هي زوجتي؟!" راح يضحك بصوت قادم من أعماق الجحيم حيث يعذب أهل النفاق ثم قال: "ألم تفهم بعد! هذه دماء زوجتك تطلي الغرفة كلها" أحسست بالغضب ينهش أعصابي فحملت الكرسي القابع قرب الخزانة واتجهت نحوه لأهشم رأسه لكني رأيت شبح فتاة صغيرة جالسة على سرير بلسم وتحرك قدميها في الهواء كما يفعل الأطفال وقالت لي بصوت يشق زحام الفوضى وأسماع الوحوش، صوت يهشم سنين الفقد والمعاناة، صوت يسكت القلب الخائف: "ارض بالنهاية يا ياسر؛ لكل بداية نهاية" لا أدري كيف مرت الأحداث بتلك السرعة، سقط الكرسي من يدي كأنها يدا طفل واهن وسقطت معه دمعة من عيناي غسلت قلبي من كل شائبة. هنا رفع ذالك المسخ قبضته الصفراء في اتجاهي ثم انفجر جسدي كأن لغما كان بداخله.

كل قطعة انفصلت عن الأخرى حتى لا تكاد تعرف هل هذه التي تتدلى على الحائط جلود ياسر أم زوجته؟

وداعا أيها الغريب.

كانت إقامتك قصيرة، لكنها كانت رائعة.

عسى أن تجد جنتك التي فتشت عنها كثيرا.

وداعا أيها الغريب.

كانت زيارتك رقصة من رقصات الظل.

قطرة من قطرات الندى قبل شروق الشمس.

لحنا سمعناه لثوان من الدغل.

ثم هززنا رؤوسنا وقلنا أننا توهمناه.

وداعا أيها الغريب.

لكن كل شيء ينتهي!. ([14])

---

[14] الكتيب الثالث والخمسون من سلسلة ما وراء الطبيعة

الضحية الرابعة:

× **الاسم الكامل:** بلسم عمر

× **اسم الفيس بوك:** بلسم عمر

× **الإقامة:** ولاية وهران

×**العمل:** ربة منزل

الزواج رزق والرزق رزق؛ الأبناء رزق والرزق رزق؛ السعادة الزوجية رزق والرزق رزق. يقولون أن الأمل في الزواج بالنسبة للمرأة ينتهي في سن السادس والعشرين وأنا لم أكن خائفة ولا قلقة لأن الرزق كالموت لا يخطئ أصحابه. كان عمري خمسا وعشرين ولم أمل يوما من مساعدة أمي في أعمال المنزل. أمي كبرت والتعب على وجهها يزداد وضوحا يوما بعد يوم؛ وبصفتي أكبر إخوتي فواجبي يحرمني الملل؛ شيء واحد كان يؤرقني وهو أن أتزوج وأترك أمي بمفردها. ذات يوم قالت لي ألا أقلق حيال هذا لأن أختي ستحل مكاني. لا أستطيع تصور أن فتاة كسولة تصغرني بعشر سنين ستزيح العبء عن ظهر أمي بعد زواجي. القلق لازال قائما ولازلت أرفض الخطاب بسببه. انفردت بي أختي الصغيرة مرة وقالت كلاما عجيبا أزاح عني قلقي: " أنت علمتني دائما أن الزواج رزق ونسيت أن إزاحة هم الأم هو رزق أيضاً سيسوقه الله بكل تأكيد؛ فكيف تقلقين حيال رزق؟!" ضممتها الى صدري والدمع يغسل عيني؛ هذا الرزق كان هي، تلك الفتاة التي كانت لا تقدر على غسل ملعقة أصبحت تتقن كل أعمال المنزل واطمئن بالي إلى أن أمي لن تبقى دون عون؛ بعد تلك الواقعة بشهر قبلت بأول خاطب تقدم لي. شاب من نفس ولايتي ذو أصل طيب ومن عائلة متوسطة

الدخل؛ اسمه ياسر وعمره تسع وعشرون، أي أكبر مني بأربع سنوات. تمت الخطبة وتقرر العرس بعد ست أشهر. بعد أشهر دخل ياسر في ضائقة مالية ولم يشأ إخباري بالأمر إلا بعدما رزق بمخرج منها وأخبرني عن فتى يدعى العباس وفكرته التي وضعها في مجموعة فلسفة مريض نفسي قبل أيام عدة وكيف أعانته على استكمال نفقات العرس. صديقتان لي هما ابتسام وحنان حصل معهما الشيء نفسه وهذا جعلني أحترم العباس كثيرا.

-نسيت إخباركم أن اسمي بلسم وتوقفت عن الدراسة في سن الثامنة عشر لأني أؤمن أن مكاني المناسب هو بيتنا حيث سأحصل على خبرات كثيرة من أمي في تكوين الأسرة. خبرة لن تجدها في أشهر كتب السعادة الزوجية.

مرت الأيام ومضى العرس على خير وكنا زوجان يضرب بهما المثل في التآلف. هو يذهب للعمل ويعود في الرابعة مساء وأنا أقوم بأعمال المنزل وأحرص على طرد كل ذرات الغبار من البيت، وعند عودته يعوض لي ساعات تعبي بوجهه البشوش وظله الخفيف؛ أحيانا يغلبني التعب وأنام ليلا ويأتي هو ليطبع قبلة على جبهتي فأحس بها في أحلامي. مر عامان ولم نرزق بطفل وقد قال الأطباء

أنه تأخر عادي يحدث أحيانا. الأطفال رزق والرزق يحتاج قلبا مطمئنا. دائما أتمنى أن أرزق بطفل يكون مثل شخصية العباس على الفيس بوك؛ فتى ذكي لكنه يحمل جرحا عميقا بالطبع لن أدع طفلي يحصل له. غاب عاما عن الفيس ولم نسمع عنه خبرا إلا قبل شهر، وقيل أنه كان في مصر وعاد اليوم ليضع منشورا يحيي فيه الأعضاء؛ هنا علمت كم أن الأعضاء يحبونه، مئات التعليقات على منشوره ومنها تعليق يحيى. تعلمون أن المنشور مهما كثرت فيه التعليقات فإن الفيس بوك سيظهر لك تعليق صديقك أولا؛ ظهر لي تعليق يحيى بصفته في قائمة أصدقائي وهو سر لم أخبر به ياسر بعد وأود أن أفاجئه اليوم بعدما يعود من صلاة العشاء. يحيى صديقه المقرب هو في قائمة أصدقائي، سينفجر غاضبا وبعدها سأقول له أنه أخي. هههه يحيى أخي المسافر منذ أعوام ولم يحضر للعرس ولم يشأ إخباره أنه أخي هههه سيكون مقلبا مضحكا. وجدت تعليقه يقول فيه: "ماذا تقصد بكلمة ڤولدن؟" من لا يعرف أسطورة الڤولدن؟ ولا أظن هذا الفتى الذكي يجهلها وقد لقب نفسه تحقيقا للأسطورة. الفتى الذهبي لقب يليق به بعدما رأينا منه عجبا. رائحة الطعام وصلت الى غرفة النوم وعلي الاسراع قبل أن يحترق عشاءنا.

عندما عاد ياسر من العمل كنت أفكر كيف سأفتح الحديث؛ بالطبع ليست هناك امرأة تحب أن يطلقها زوجها بسبب مقلب. عندما ذهب لصلاة العشاء رحت أجهز غرفة النوم. ضغطت على القاطعة ليعم ذالك الضوء الأبيض الغرفة. تقدمت نحو السرير فانطفأ المصباح. أردت العودة لأشعله مجددا فإذ بشيء واقف في ركن الغرفة رغم الظلام تستطيع رؤيته، لا يخضع لقوانين انكسار الضوء. يد صفراء وأخرى خضراء، قبيح الشكل يجعلك ترى نفسك أوسم شخص في العالم. أردت الصراخ لعل صوتي يصل للجيران لكن صوتي لم يخرج أصلا، هل جربت شعور أن تولد أصما. حتى لو لم يذهب صوتي بدون سبب فسيذهب من شدة الرعب. رعب يسري في دمائي جعل العرق مثل الدموع ينسكب. فجأة سمعت صوتان في نفس الوقت واستطعت سماعهما وفهمهما معا كأن لدي عقلان، صوت قادم من أعماق سقر حيث تذوب أجساد الخاطئين؛ صوت علمت أنه صادر من هذا الوحش رغم أنه لم يحرك فمه حتى، -لو كان لديه فم أصلا-. بلهجة واثقة قال: "أنت قربان جانب النجوم". أما الصوت الآخر فكان لطفلة صغيرة تجلس على السرير. تلبس فستانا أبيض وشعرها الأسود

يصل لخصرها. لها وجه جميل وابتسامة ساحرة وعيناي زرقاوان كأنهما البحر. قالت بصوت قادم من داخل الصدف كأنه اللؤلؤ:

" الموت رزق لمن أعد له الزاد..

الموت رزق لمن آمن بالرزق..."

-لم أعد أحس بشيء بعدها كأني لم أر الرعب في حياتي. أرى كل ما يجري أمامي لكني لا أحس بشيء سوى راحة أبدية، كأن ما يحصل لا يعنيني في شيء. المسخ يرفع قبضته الخضراء في اتجاهي وعيناي مثبتتان عليه، نظرة كنظرة شخص لم يعد شيء يثير انتباهه في هذا العالم. القبضة تنزل شيئا فشيئا وأمعائي تهتز. عادت اليد لمكانها ثم...

هل جربت يوما أن تفجر من الداخل بالونا مملوءًا بالدم؟

وداعا أيها الغريب..

لكن كل شيء ينتهي..

الضحية الخامسة:

الاسم: ضياء

اسم الفيس بوك: Diya Zt

الإقامة: ولاية وهران

العمر:25 عاما

العمل: نجار

شاب في العشرينات من العمر؛ طموح لحد التهور. اسمي ضياء ولي منه نصيب فأنا كالضوء في حياة الآخرين. أحب قضاء حوائج الناس وأؤمن أن خادم القوم سيدهم. أكره التفاصيل المملة كأن أحدثكم عن شكل وجهي وعيني لأنني ببساطة لا أستحق أن تعرف عني كثيرا. مقبول الشكل فقط وهذا يكفيك لأن تشبهني بأي أحد من أصدقائك. أكره التفاصيل لكن عقلي يضج بها ويطرح الكثير من الأسئلة بمجرد أن يحدث شيء يضر بقلبي.

ضياء في الخامس والعشرين مقبل على الزواج. لدي مال يكفي للعرس وعمل يضمن عيشا كريما، تبقى شيء واحد وهو أن أذهب للخدمة الوطنية. تجاهلت استدعاءان أرسلوهما لي ولن أنتظر الثالث؛ سأذهب وأعود بعد نهاية ذالك العام لأجد عروسي تنتظرني. حزمت حقائبي وسافرت لولاية – ورڤلة – حيث الثكنة العسكرية؛ تحطمت أمنيتي في أن يعفوني. أستطيع أن أقدم أي خدمة لأي شخص دون أن أتذمر إلا خدمة واحدة وهي الخدمة الوطنية. قال لي أبي أنهم يقومون بتدريب الشعب فإذا ما حصلت حرب – لا قدر الله – يكون هناك جيش احتياطي قادر على حمل السلاح. عظيم! لكن لماذا عام كامل؟ هل سيعلموننا القصف الجوي بالطائرات أم سياقة الدبابات؟

مرت ستة أشهر وأخذت عطلة لمدة خمسة عشر يوما. عدت للبيت لأعانق الوالدين وكانت سعادتهما لا توصف. وفي اليوم التالي ذهبت لأهل عروسي ورحبوا بي مع الكثير من الطعام والحلويات. الكثير من الحكايات التي حصلت معي في تلك الست أشهر؛ تعرفت أصدقاء جدد وانهالت الكثير من المصائب على رؤوسنا وتجاوزناها.

دون أن أنسى أني اشتقت لأصدقائي على الفيس بوك ونشرت لهم منشورا ترحيبا بنفسي، حاز على تفاعلات كثيرة، وفي نفس الوقت وجدت منشورا من عضو اسمه العباس؛ كان غائبا لمدة ستة أشهر ثم ستة أشهر أخرى عندما كنت في الخدمة الوطنية والآن قد عاد. المنشور يحوي كثيرا من التفاعلات والتعليقات. أحب أن أرى تعليقات الناس عندما يكون التفاعل كثيرا هكذا؛ التعليقات عادية كلها، بين ترحيب واشتياق. مهلا! هناك تعليق لشخص يستفسر عن معنى كلمة ڤولدن؛ الأمر واضح يا سيدي؛ هذا الفتى يعرف الكل قصته وهو تحقيق للأسطورة لا ريب.

أنا متعب حاليا وسأذهب لأنام قرب أبي. لست طفلا خائفا أن ينام وحده، الرسول الكريم أوصانا ألا ينام الرجل وحده وأنا أتبع من أوامره ما استطعت.

حل الصباح وأشعة الشمس تداعب النوافذ لتعلن بداية يوم جديد. اليوم سأزاول عملي في الورشة. نسيت إخباركم أن لدي ورشة نجارة بحجم غرفتي نوم ومخزن أضع فيه اللوح الجديد. أنا نجار محترف أختص في صناعة الزخارف الخشبية. يرتاد على الورشة كثيرون، يقدمون طلباتهم ويأتون في اليوم القادم ليجدوها جاهزة، استغرقت نصف ساعة كي أنهي تجهيزها للعمل. عشرة أيام من العمل تعود علي بمال لا بأس به.

أعمل من الثامنة حتى لمنتصف النهار ثم من الخامسة مساء حتى التاسعة مساء، هذا برنامجي المعتاد وأنا ملتزم به بشدة. يقول لي الكثيرون أن آتي بشخص يساعدني؛ لست أعمل فوق طاقتي فلماذا آتي بعامل آخر؟!

حل الظلام وأنا منهمك في العمل لأن الطلبات كثيرة اليوم وعلي انهاؤها قبل التاسعة. ظلام دامس في الخارج بسبب الغيوم السوداء التي تغطي السماء وبرد شديد كان لينهش عظامي لولا

صعوبة العمل والتعب الذي أجنيه منه. لوح أصفر متناثر من حولي هنا وهناك. صوت آلة القطع يصم الآذان. العرق يكاد يغسل ثيابي. ثم أظلم كل شيء فجأة. هذا يحدث أحيانا بسبب الجهد المطبق على الأسلاك يجعل القاطعة التفاضلية تعمل عملها. وضعت الخشب من يدي واتجهت نحو مكان القاطعة أتحسس الموجودات كالأعمى. هذا باب غرفة صنعته في الصباح. هذه نافذة لازالت تحتاج اللمسات الأخيرة. هذا (كادر) باب موضوع على الأرض. كثرة العمل تجعل تنظيم الأشياء شبه مستحيل. هذا شيء كالتابوت مستند على الجدار. انحناءات كثيرة على جوانبه وسطحه أملس كطلاء غرفة. أنا لا أذكر أني صنعت شيئا كهذا. في رأسه شيء مدبب كالأنف وتجويفان كالعينين. الآن أصبحت أرسم تجسيدا له في عقلي. تبقى فقط أن أصل للقاطعة وأعرف شكل هذا النحت الفريد وأتساءل من وضعه في ورشتي. رحت بخطى بطيئة لأغلق الدارة التي تفصلني عنها ثلاثة أمتار فحسب، ثم شيء ما أشع في الظلام جعلني أدرك حدود الأشياء من حولي. الضوء قادم من خلفي، ضوء أحمر ضعيف قادم من نقطتين في الظلام، نقطتان بينهما مسافة تساوي المسافة بين عينيك. القاطعة أصبحت واضحة جدا وسأصل إليها. وضعت يدي على تلك الحافة

وقمت برفعها فإذ بها تعود مباشرة لوضعها السابق؛ هذا يدل على وجود خلل في الدارة ويجب استدعاء كهربائي. لكن فجأة أغلقت القاطعة نفسها بنفسها. هل رأيت قاطعة تصعد تلقائيا؟! نظرت خلفي فلم أجد شيئا ثم أدرت رأسي نحو القاطعة؛ تابوت كما وصفته لك واقف عند الجدار قرب القاطعة، متى انتقل الى هناك؟! تابوت برأس إنسان فرعوني يشبه أنوبيس مطلي بالأصفر الذهبي والأسود. كل شيء فيه ثابت كخشب إلا عيناه تبدوان آدميتين إلى حد بعيد. يحركهما ذات اليمين وذات الشمال. أكاد أقسم أنه إنسان وضع عليه صلصال غطى جله. لازال السؤال قائما؛ من أتى بهذا إلى هنا؟ أردت الاقتراب منه والتمعن فيه أكثر؛ كأنه نحت فرعوني قديم. ما إن خطوت الخطوة الأولى حتى سمعت صوتا قادما من أعماق الجحيم: "أيها البشري! أنت قربان وأنا المضحي" تصلبت في مكاني بعد هذه الجملة؛ يصفون الرعب أنه نقطة قلب وظائف الجسد حيث ترى بأذنك وتسمع بعينك؛ تضرب بمعدتك وتجري بيديك؛ كل شيء ينقلب حتى لتتساءل لم خلقت هذه اليد وهذه القدم ووو. لو سألتني وقتها أين هو أنفي لما عرفت الاجابة. وسط هذا الاضطراب المخيف شعرت بيد دافئة وضعت على كتفي. يد أعادت كل شيء لمكانه الطبيعي. القلب يضج

الدم واللسان يتذوق اللعاب الساخن. كل شيء يعمل كما يجب له أن يعمل. لا تلوموني على تناقضي في رأيي حول التفاصيل المملة فهذا الموقف لو وصفته في عشرين صفحة فلن أوفيه حقه. قلت لكم أن يدا دافئة أعادت مياه روحي لمجاريها إلا أنها أخذت معها شيئا وهو الإحساس. لم أعد أحس بالبرد ولا بالألم ولا بأي شيء. ثم زادت إضاءة عينا ذالك الشيء وجسدي ينكمش كأنه بلاستيك قرب من مصدر حرارة. بلاستيك! هذا هو التعبير المناسب. من منا لم يقرب كيسا بلاستيكيا من عود ثقاب أو وهج قداحة! ينكمش وينكمش إلى أن ينتهي حد انكماشه فيبدأ بالذوبان. هذا ما حصل معي تماما. عندما حل منتصف الليل أتى والدي ليجد بقعة كبيرة من سائل لزج عليها سروال خشن وحذاء غليظ ومعطف أسود؛ تماما ما يلبسه ابنه في العمل. لم يستطع الجزم بشيء لولا أن رأى كريتان في طرف هذه البقعة. كريتان من لحم كأنهما عينان. أو ربما عينان حقا. من يدري.

الضحية السادسة:

الاسم الكامل: زكريا سعداوي

اسم الفيس بوك: ZakiMotgo

الإقامة: باب الزوار– العاصمة

العمر: 29 سنة

العمل: ميكانيكي سيارات.

29 سنة؛ وجه أبيض وعينان خضراوان وشعر أسود كالفحم ووجه مقبول الشكل وجسم رياضي. يد خشنة بسبب العجلات والمفاتيح التي تعالجها كل يوم. هل جمعتم هذه المواصفات في أذهانكم؟ هيا لنغص أكثر في شخصيتي، واعذروني على ضعف سردي لأني لست بارعا في القص. من أين أبدأ؟ اااه نعم نعم. قبل عام كنت في رحلة استكشافية مع بعض الأصدقاء إلى منطقة سيفار في ولاية إليزي. صخور كبيرة ورمال ذهبية كأنها تلك القرى المهجورة في حكايات سندباد. نلتقط الصور ونتمعن الرسوم المنحوتة على بعض الصخور. قضينا هناك يومين كاملين. نصبنا خيمة وقمنا بتسخين الطعام الذي أحضرناه معنا سلفا. كنا أربعة أشخاص؛ أنا وصديقاي ومرشد استأجرناه، ليس سيئا أبدا فهو يطهو لنا الشاي بمهارة ويحكي لنا كثيرا من القصص التي حصلت هنا في هذه المنطقة. ملأنا بطوننا بالشاي وضريبة هذا هو النوم المتأخر وكثرة الارتياد على الخلاء لقضاء الحاجة. الساعة تشير إلى الأصفار الأربعة ولازالت السهرة متواصلة؛ أزحت غطاء الخيمة بيدي وابتعدت مسافة 50 مترا لأقضي حاجتي. ضوء القمر يكشف الموجودات كأننا في النهار. رغم هذا الضوء رأيت ضوء يشع من تحت التراب قرب أحد تلك الصخور. ضوء ينطلق نحو الأعلى

معطيا قليلا منه إلى المحيط حوله. اتجهت نحوه وبيد صلبة رحت أحفر في التراب. أحفر وأحفر حتى وجدت كتابا مغلفا بالجلد المدبوغ ورائحة العطن تنبعث منه. حملته وأزلت عنه هذا الجلد. جلد رقيق لين يتمزق بسرعة. لم يكن جلدا مدبوغا بل كان جلد إنسان. حبات العرق تتشكل على رقبتي. فتحت الكتاب؛ أوراق صفراء عليها خطوط وأشكال مبهمة لكني أفهمها؛ لا أدري كيف! كأني قضيت حياتي أتعلم هذه الرموز. أفهم كل حرف وكل رمز وما فهمته كان خطيرا جدا. قررت أخذه معي وترك الأمر سرا. هكذا ثبتته إلى بطني ووواريته بقميصي وعدت للخيمة. لم يلحظ أحد شيء ولم يروني عندما دسسته في حقائبي.

عدنا للبلد وأصبحت أعمل في النهار مع أبي على صيانة السيارات وفي الليل أعتكف على قراءة هذا الكتاب. تغيرت كثيرا بعد ذالك اليوم. تستطيع القول أني أصبحت ساحرا؛ أغلق على نفسي في الطابق المجهز لعرسي وأرسم نجوما ودوائر وأشعل بخورا وأتسلى بمعرفة أسرار الأمم الغابرة وأستدعي حراسا من الجن يحققون لي ما أريد. أيام طويلة وأنا على هذا الحال حتى أن عائلتي شكت في أمري وتسلل أبي لغرفتي ذات يوم ليجد كتابا ذا أوراق صفراء ورموز مبهمة لم يفهم فيها شيئا. جزم بعد هذا أنني أمارس أعمالا

مشينة وصارحني يوما بهذا ونصحني كثيرا أن أتخلص من هذا الكتاب، لكنه توفي بعدها في اليوم التالي. نوبة قلبية مفاجئة أودت بحياته. لعل الأمر صدفة وليس هناك علاقة بين موته والكتاب. المهم أنني واصلت قراءته وتطبيق ما فيه رغم تهديد اخوتي لي أنهم سيتبرؤون مني. لم يجرؤوا على إخراج هذا السر خارج البيت لعلي أتوب عما قريب. لدي أخ متزوج وأكبر مني بعام، وأخ أصغر بسبع سنين وأختان مخطوبتان وأم حية وأب قد توفي كما ذكرت سابقا.

كما يقولون في الروايات: مرت الأيام بروتين مكرر حتى أتى ذالك اليوم. كنت في ورشة العمل أصلح السيارات المعطلة التي يأتي بها أصحابها ولكن اليوم بقيت ثلاث ساعات جالسا دون عمل فحملت هاتفي أتصفح الفيس بوك. أنا أحمل الهاتف ثلاث مرات أسبوعيا فليس لدي أصدقاء كثر وحتى رقمي أرفض إعطاءه للناس كي لا يزعجوني في أوقات راحتي. عندما أدخل الفيس بوك أزور مجموعة واحدة فقط لطرافة منشوراتها وأعضائها. حكى لي ذات يوم صديق مدمن على الفيس بوك عنها وعن أعضائها واحدا واحدا حتى أصابني الملل. حكى لي عن عضو محبوب في المجموعة وهو مختف منذ أشهر. كان اسمه العباس ان لم تخني الذاكرة. هذا منشور يتصدر المجموعة لعضو يحمل نفس الاسم ومحتواه يشير

إلى أنه كان غائبا. منشور ترحيبي يحصد كل هذا التفاعل؟! لم أكن لأصدق هذا لو لم أره بعيني. أحد أصدقائي علق عليه واسمه يحيى -صديقي الذي ذهب معي في تلك الرحلة-. ماذا يقول؟ يسأل عن معنى الڤولدن التي وضعها صاحب المنشور. نسيت أن أخبركم أني وجدت في ذالك الكتاب كلاما عن ڤولدن يظهر كل عشر سنين وثمان بوابات ووحوش تخرج منها؛ حدسي يخبرني أن هذا هو الڤولدن؛ هناك شيء يدفعني لمراسلته وسؤاله. حافز يوسوس لي. سأدخل لصفحته الآن؛ ثم. "السلام عليكم؛ زكريا! هل تعمل الآن؟". هذا زبون يريد تصليح مقود سيارته. أغلقت هاتفي ووضعته جانبا لعلني بعد يومين أو ثلاثة سأعود إليه. العمل والعمل ثم العمل. أحيانا يستعصي علي شيء فأستعين بخدمتي من الجان. أحيانا فقط؛ أنا لا أستعملهم كثيرا فأنا أحب العمل بمفردي. أغلقت الورشة على الخامسة مساء وعدت للعمارة لأجد أب خطيبتي ينتظرني قرب الباب.

-منذ متى وأنت هنا تنتظر؟

قلتها بحنان مفتعل فأجابني في حرج:

-ليس كثيرا. اليوم هو موعد تقرير العرس.

-تفضل. لقد جهزنا كل شيء.

أخذته إلى طابق الضيوف وجلسنا نتبادل أطراف الحديث لمدة ساعتين. صوت الأذان يطن في الآذان وأنا لا أحتمل هذا الصوت. تركت الإسلام منذ أن حصلت على الكتاب وأصبحت لا أطيق شيئا من ذالك الدين. دعك من أن أب زوجتي وإخوتي لا يصلون أصلا. هكذا بقينا ثلاث ساعات دون أن نتحرك من مكاننا. وفي الأخير قررنا العرس في آخر شهر مارس ثم ملأنا البطون كما يقولون وودعته أملا في اللقاء عندما يحين الموعد. الساعة الآن الثامنة والنصف ليلا. المطر ينهمر في الخارج؛ ليس غريبا على بلدية باب الزوار.. البرد ينهش العظام. أغلقت باب البيت ثم صعدت نحو الطابق الثاني الذي هو منزلي لأجد القط –قط قبيح بعيون خضراء– يسبقني بخطوات إلى أن وصل قرب الباب بدأ يموء بشكل غريب. ماذا تنتظر من قط كهذا؟ أولجت المفتاح في القفل فتبعني القط بعد أن تقدمت لباب غرفة النوم. نظرت إلى عينيه قليلا؛ متى أصبحت عيناه رماديتان؟ انني أتوهم هههه. أغلقت الباب من خلفي -ما بال هذا القط يتبعني!- خمنت أن أتركه ينام معي لكني عدلت عن هذا لأنه لن يتحمل ما سيراه من طقوس الاستدعاء. سأحمله وأرميه خارج غرفتي. انحنيت إليه كي

أحمله لكنه وثب فوق الطاولة وبدا لي كأنه حرك شفتيه وكان هو مصدر الصوت الذي سمعته؛ صوت رخامي ضخم يقول: "أيها البشري؛ أنت قربان جانب النجوم". أستطيع معرفة كل الجان عندما يتشكلون بهيئة بشر أو حيوان لكن هذا. هذا يختلف. قرأت في ذالك الكتاب عن وحوش لها هذه المواصفات. رحت أردد تعاويذ الاستدعاء. وانطلقت رائحة الكبريت المميزة لحراسي ثم اختفت. ما معنى هذا؟ هل رحلوا وتركوني؟ انطلق صوت آخر لم يكن مصدره القط بل شيء آخر واقف قرب الباب. سائل لزج متشكل ككومة قش وله عينان تغوصان في هيولته. لا أدري كيف يتكلم لكنه تكلم يقول: "سرقت كتابنا وحان عقابك". رعب يضخه قلبي في الدم، أنا الذي ظننت أن لا خوف سأعيشه بعد اليوم لأن لدي حراسا يحمونني؛ أين ذهبوا؟ من سيحميني من هاذين؟ أتى صوت ثالث من ركن الغرفة فالتفت سريعا لأرى نارا زرقاء تراها مخلوقا حيا. لا أعرف كيف أصف لك نارا حية؛ يكفيك أن تراها لتعرف كيف؛ نار تتكلم وتتحرك دون أن تحرق شيئا في طريقها. تقترب وتقول: "حراسك لا يقدرون على أذيتنا". النار والسائل يقتربان مني وفي نفس الوقت لمحت ذالك القط يتحول إلى تمثال صغير. تمثال لقط واقف على قدميه الخلفيتين ويده ممدودة للأمام وعيناه

تشعان ببريق أحمر لو كنت تعرف أسطورة باستت لأرحتني من الوصف. أحسست أن جسدي يتهالك وكأن لا عظام فيه. لا عظام! الذراع والقدمان والخصر والرقبة. كل شيء يتهاوى وفي نفس الوقت أرى هيكلا عظميا يتشكل قربي شيئا فشيئا. هذه عظامي تنسال مني دون جراحة. ألم يعتصرني كأن شخصا ينزع أظافري بكلاب. أصرخ وأصرخ وأسمع أصوات إخوتي على الباب ينادونني باسمي. "زكريا! زكريا! ما الذي يحصل في الداخل؟ سنكسر الباب. هيا". السائل يقترب من هيكلي العظمي والنار تقترب من كومة اللحم. في نفس الوقت التحم كل منهما بغايته. احترق الهيكل اللحمي وسقط على الأرض والتهم السائل العظام وذابت في لمح البصر ثم تجشأ فأطلق فقاعة ارتفعت نحو السطح وانفجرت هناك فارتسمت نجمة خماسية. كأنه يسخر مني ومما كنت أقوم به طيلة هذا العام. اختفى العظم والشعور بالألم تبعني إلى آخر لحظة حتى طهي اللحم بيد نار ماهرة. ثم اندفع كتف أخوي يهشمان قفل الباب ليجدوا مسرح الجريمة خاليا من كل مخلوق سوى ذالك القط السمين القبيح يموء بطريقة مزعجة كأنه يضحك ضحكة انتصار. لكن من سيشك في قط يأكل بشراهة؟

الضحية السابعة:

الاسم: حنان

اسم الفيس بوك: hanane Ch

الإقامة: ولاية الشلف – دائرة تنس

العمر: 21 سنة

العمل: عميلة استخباراتية

حياة الريف تعطي المرء صحة قوية ومنظرا بهيا وأفتخر كوني فتاة ريفية. واحد وعشرون عاما من الشهيق والزفير عشتها في ولاية الشلف. بيت متواضع قرب الجبل، وقليل من الجيران هنا وهناك. توفي والدي عندما بلغت الحادية عشرة إثر حادث سيارة ولم يشأ أخي الوحيد اخباري بالأمر وقال أنهما سيغيبان طويلا لكني كنت أعرف الحقيقة؛ قرأت أفكاره دون أن يعلم وصارحته بالأمر وتفاجأ عندها غير مصدق. "أختي تقرأ الأفكار!". حتى أنا لم أعلم بموهبتي حتى ذالك اليوم. بغض النظر عن تلك الموهبة فأنا أحسست بوفاة والدي عندما ضربت غصة قلبي. أظنها الشيء الذي جعل عقلي غير طبيعي. عشنا أنا وأخي حياة بائسة. كان يخرج ليبحث عن عمل يدخل به بضع دنانير كي نبقى حيين. ولد عمره ثماني عشرة سنة اضطر لاعتزال الدراسة ليوفر قوت يومه وأخته الأصغر منه بسبع سنين. دائما كنت أشعر بالذنب حيال أخي؛ إلى أن أتى ذالك اليوم الذي أتتني فيه دعوة سرية من مجهول كان مفادها:

" إلى الأخوين أحمد وحنان..

تدعوكم هيئة الاستخبارات للانضمام إليها بصفتكما ذا موهبتين نادرتين نحتاج إليهما في عملنا..

إذا قبلتم الدعوة اتصلوا بالرقم المسجل في آخر الرسالة لاستلام التعليمات"

تعجب أخي من انتشار الأخبار. لابد أنه صادف وأخبر أحد أصدقائه وهو عضو في الاستخبارات. على كل فلم نجد بدا من رفض الدعوة، فالمرء لا يرفض عملا يزجي عليه بالمال الوفير. وضعوا لنا شرطا وهو السرية التامة ووضعنا لهم شرطا وهو عدم اختلاطي بالرجال وعدم حضوري للاجتماعات وقد وافقوا. أخي يعمل في سياقة السيارات ويشارك في المهام السرية داخل وخارج الوطن بصفة منقذ الفريق في الأحوال الطارئة؛ عندما يمسك مقود السيارات يزيح كل السيارات من أمامه. أبي ترك لنا سيارته وكان يقودها دون رخصة وعندما يصادفه حاجز أمني يلوذ بالفرار وقد عرف بمهارته رغم صغر سنه حينها. وأنا كنت أرسل إلى الأماكن الحساسة حيث يجتمع المشبه فيهم وأقوم بقراءة أفكارهم لأخرج الأسرار الدفينة. جميع عملياتي كان أخي يرافقني فيها. أحيانا نغيب أياما عن منزلنا وأحيانا نعود في وقت متأخر. مرت تسع

سنوات حتى تقدم لي عبد الجليل طالبا يدي من أخي. شاب مقبول الشكل ويكبرني بثلاث سنوات؛ ينحدر من نفس المقاطعة التي أسكن فيها؛ لم أره قبل ذالك إلا عندما أتى لبيتنا المتواضع وتحدث مع أخي طويلا؛ ثم ناداني لأراه. جلست بجانب أخي مطأطأة رأسي من الخجل وعبد الجليل كان خجلا بدوره لكنه بادر بالكلام قائلا:

-أنا عبد الجليل. كيف حالك؟

-الحمد لله وأنت؟

-في نعمة والحمد لله.

- عاد الصمت مجددا – لماذا لا يجد المرء ما يقوله في مثل هذه الأوقات. المهم أنه نهض ممتنا لحسن الضيافة وودعنا بلباقة ورحل. ثم سألني أخي عن رأيي فيه فقلت له:

" أولا هو عميل مثلنا وثانيا علمت أنه يحترمني كثيرا وقد فوجئ بجمالي عندما رآني احم احم. لذالك سأقبل". ضحك أخي كثيرا وفرح لي ثم في اليوم التالي أوصل موافقتي لعبد الجليل وهكذا بعد شهر أتى مع أبويه للخطبة. خطبة عادية لم يحصل فيها ما يذكر

إلا أنهم قرروا أن العرس بعد أشهر. مضت الأيام ونحن نتواصل عبر الفيس بوك؛ تعرفت عليه أكثر وأستطيع القول أنه طيب القلب وأراه جزاء من الله على صبري طيلة هذه الأعوام. وبذكر الفيس بوك فهناك مجموعة فلسفة مريض نفسي أنشر فيها عن الزواج وأن يبحثوا لي عن زوج. ههه هم يعلمون أنني أمزح. يقال أن أكثر الناس ضحكا ومزاحا هم أكثرهم جرحا وأنا أرى نفسي ضمن هذه المقولة. من بين الأعضاء المشهورين فتى عانى الكثير منذ صغره؛ ولد بتشوه في الوجه والرأس جعل منه منبوذا اجتماعيا لكني أعده أخي الصغير. منشوراته كانت تضفي كآبة على المجموعة إلى أن انقطعت أخباره تماما لمدة عام ثم أتانا خبر أنه مع خطيبي عبد الجليل. فرحت كثيرا وطلبت منه أن يلتقط له صورة دون علمه. – قليلون من نتعرف عليهم في العالم الافتراضي ونلتقي بهم على أرض الواقع-. تلك الليلة كانت أظلم ليلة مرت علي منذ وفاة والدي. رن هاتف أخي ليأتيه خبر موت عبد الجليل مع تعزية ومواساة. قرأت أفكاره قبل أن يتكلم حتى وأصبت بصدمة نفسية جعلتني لا أتبين أين أنا ولا ماذا أفعل. انقلبت الدنيا رأسا على عقب؛ لم أستطع النوم حينها وظللت فاغرة فاي كالمجنونة. ثم في منتصف الليل تلقينا أوامر أن نذهب أنا وأخي لإيصال

العباس والاعتناء به بصفتنا أنهينا مهمة أخرى في قسنطينة وقتها فكنا أقرب العملاء إلى هناك. التقيت بالفتى الذي أعددته أخي الصغير. للأسف لم أستطع الترحيب به بسبب حادثة أمس. أردت قراءة أفكاره لمعرفة ماضيه وسبب مطاردة العصابة له لكن قدرتي ضعفت كثيرا بسبب تلك الصدمة. استطعت فقط أن أقرأ أفكاره القريبة جدا فقط. أخذته لفندق كما اقتضت العملية. وفي اليوم التالي أخذناه للمطار فأردت قراءة أفكاره لكني لم أستطع. ودعته على أمل في اللقاء في ظروف أفضل. وبعد أيام وصلنا خبر بأن مقر العصابة أبيد تماما وأن العباس وصل لأهله سالما. ثم وضع منشورا على الفيس بوك يحيي فيه الأصدقاء وكتب في آخره كلمة golden كرمز لم أفهم ما يقصد بها. حتى أن يحيى سبقني بسؤاله وأضحكني هذا. ثم انتابني الفضول فانتظرت حتى تأكدت من أنه نشط فقمت بقراءة أفكاره من خلف الشاشة -الأمر كله عبارة عن موجات كهرومغناطيسية تنتقل عبر الخطوط-. المراجعة للاختبارات وفرحة اللقاء بالوالدين وتكسير سيقان الأولاد الذين سخروا منه –هذا الجزء راق لي كثيرا– وفتاتان اسمهما زهرة وجميلة يحبهما وان كان حائرا في أي منهما يعطيها قلبه حتى أن

جميلة قالت له "اشتقت لك" فكان رومنسيا معها ([15]). في جوهر هذه الأحداث يوجد أمر يؤرق تفكيره وهو كونه ڤولدن هذا العقد. الفتى يتعذب جدا وأود لو ألقاه فأخفف عنه. المهم الآن هو راحتي. كنت قد صليت الصبح ثم بعد ساعة عدت للسرير كي أنام مجددا. عندما اضطجعت رأيت فتاة سوداء الشعر سوداء اللباس سوداء في كل شيء تتقدم نحوي وهمست في أذني قائلة: "حانت النهاية". فتحت عيني مرعوبة لكن طفلة صغيرة بيضاء في كل شيء وضعت يدها على صدري فأحسست براحة نفس عجيبة ورأيت ذالك الشيء الأسود يتكون في طرف الفراش، لكن السؤال عن كنهه لم يعد يهم لأن شفتاي تلتا الشهادتان ورحت في عالم آخر.

شيء أسود بطول المتر ذو عضلات شاب رياضي وشعر كثيف على كتفيه ووجهه أسود كأنه ظل. قفز على صدري ويده المخلبية على رقبتي؛ لكن هل يضر الشاة سلخها بعد ذبحها؟

---

[15] فضحتني حنان.

ويعطينا الإله أضواء في آخر النفق

يدعونا كي ننسى ألما عشنااااه

نستسلم لكن لا ما دمنا أحياء نرزق

مادام الأمل طريقا فسنحيااااه

الضحية الثامنة:

الاسم:صلاح الدين

اسم الفيس بوك: زنقا وي

العمر:26 سنة

الإقامة:منطقة القشايش – ولاية المسيلة

العمل: عمل مختلط

هل جربتم حياة (الرڤ أو ما يسمونه بالحمادة) يوما؟ أرض مستوية لا أشجار فيها سوى بعض النباتات الشوكية التي تنمو على أرض قاحلة؛ هناك في منطقة القشايش دور متفرقة هنا وهناك وبعض البساتين. مسجد كبير يتوسط هذه الديار؛ وبقربه سوق أسبوعي. مستشفى وبعض المرافق الأخرى. بلدة متواضعة ومحافظة -بكسر الفاء- كذالك لم يصلها تلوث المدن. في أحد البيوت الجانبية أسكن أنا وأمي. بيت بغرفتين ومطبخ ودورة مياه. غرفة نوم وغرفة للضيوف رغم أن لا ضيوف سيزوروننا فنحن عائلة بلا أقارب ولا أصدقاء؛ أكاد أجزم لو أنني مت أنا أو أمي فلن يعلم أحد. أبي عندما كان حيا تشاجر مع كل المخلوقات؛ اخوته وأصدقائه وجيرانه والذباب والنمل ووو. نفر الناس منه نفورا؛ دائما كان يحدثني عن حب الأكسجين والعزلة وأن الناس يحرمونك الراحة. المسكين لم يسمع من قبل بحديث معاشرة الناس والصبر على أذاهم. حتى أمي لم تكن ذا سمعة جيدة بين الناس؛ المشكلة الأكبر أنني ابنهما وقد ورثت عنهما كره الناس لهما. حاولت مرارا ربط بعض الخيوط المقطوعة لكني أبوء بالفشل لأني أفتقر للشخصية الاجتماعية التي حرمت منها في الصغر. عمري ست وعشرون سنة؛ أعمل يومين في السوق وباقي الأيام أجوب

الرف أصطاد بعض الطيور النادرة لأبيعها. أكسب نقودا تكفيني لسد حاجيات البيت. لدي هاتف لم أشأ بيعه لأنه يعوضني عن وحشة الوحدة فهناك مجموعة اسمها فلسفة مريض نفسي وجدت فيها أصدقاء رائعين؛ صحيح أنهم أصدقاء وهميون لكن هذا لا يهمني. كما قلت لكم أني أجوب الرف، فيوم الجمعة أخصصه لصيد الأفاعي واستخلاص سمومها في قوارير صغيرة ثم أقوم ببيعها لشخص يأتي من خارج البلد. بهذا كله جمعت مالا لا بأس به وبنيت بيتا صغيرا قرب بيتنا لأذهب وأطلب يد طفلة من القرية المجاورة. قبلت بي رغم شكلي وحالي المزرية وسمعتي؛ اسمها ءاية – ليست ءاية قريبتك أو صديقتك أو أنت؛ هذه ءاية تخصني -. تواصلنا بعد الخطبة عبر الفيس بوك ولأول مرة في حياتي أتذوق حب إنسان لي. وضعتني في قلبها وكنت لها خير أخ وصديق وحبيب. عندما اقترب عرسنا لدغتها أفعى سامة أثناء نومها وبسبب بعد القرية عن المستشفى المركزي فارقت روحها الجسد. رحلت لكنها لم ترحل من داخلي. أصبحت مثل محمد الجواهري وقصيدته جسدت حالي فأدمعت عيني:

في ذِمَّةِ اللهِ ما ألقَى وما أجِدُ

أهذِهِ صَخرةٌ أمْ هذِه كبِدُ

قدْ يقتُلُ الحُزنُ مَنْ أحبابهُ بَعُدوا

عنه فكيفَ بمنْ أحبابُهُ فُقِدوا

خَلعتُ ثوبَ اصطِبارٍ كانَ يَستُرنُي

وبانَ كِذبُ ادِعائي أنَّني جَلِد

بكَيتُ حتَّى بكى من ليسَ يعرِفُني

ونُحتُ حتَّى حكاني طائرٌ غَرِد

كما تَفجَّرَ عَيناً ثرَّةً حجَرٌ

قاسٍ تفَجَّرَ دمعاً قلبيَ الصَلد

إنّا إلى اللهِ! قولٌ يَستريحُ بهِ

ويَستوي فيهِ مَن دانوا ومَن جَحدوا

بقيت على حالي هذا عامان كاملان ولم أستطع النسيان؛ "الزمن كفيل بنسيان كل شيء" قائل هذه العبارة إما عجوز أو طفل محى أبوه قناة طيور الجنة من التلفاز وأعادها في اليوم التالي. لا أظن أنني سأنسى؛ لدي مجموعة فلسفة مريض نفسي أنشر فيها

مشاعري لأخفف عن نفسي؛ فيها أصدقاء كثر كأحمد وباسم والعباس؛ هذا الأخير هو أقربهم إلى قلبي؛ عندما عاد من مصر كما قيل أخبر بعودته فنشر كلاما وقعه في آخره بكلمة ڤولدن؛ لم أفهم هذا التوقيع؛ حتى يحيى ذاك استفهم في الأمر؛ بحثت في الانترنت عن معناها فوجدتها أسطورة أصلها أجنبي. تنطبق عليه في كل شيء. فتى نادر كل عشر سنين ذو مواهب وقدرات خيالية وو و. من حقه أن يلقب نفسه بالڤولدن فإن لم يكن هو ڤولدن فالأسطورة أسطورة حقا. الأهم الآن هو عودته إلينا وسأحييه. وقعت ثلاثة طيور في الفخ وسأذهب لإحضارها. الصيد اليوم وفير جدا كأن سربا هرب الى هنا من شيء ما. لا يهم؛ سأعود للبيت باكرا قليلا هذه المرة. الساعة الخامسة مساء وصلت للبيت فوجدت أمي كعادتها تجلس قرب الباب تراقب الشارع ولا أحد يعبئ بها. كبيرة في السن هي؛ أحيانا يمر بقربها أطفال يرمونها بألفاظ بذيئة. شيء عادي أن ترى عجوزا يضايقها الفتية لكن صعب جدا أن تكون هذه العجوز هي أمك، حتى لو كانت أسوأ أم في الدنيا بالنسبة لك ستركل مؤخراتهم كما أفعل أنا دائما. ساعدتها على الدخول فالشمس اقتربت من المغيب. أخذتها إلى غرفتها ودخلت المطبخ أعد العشاء. أحيانا أتذكر تلك الآية فتختلط دموعي مع

الطعام، ثم أدرك أني كبرت على هذه المشاعر؛ عقلي يعي هذا لكن من سيفهم قلبي. تذكرت بيتين لمجنون ليلى -قيس بن الملوح -:

ألستَ وعدتني يا قلبُ أني

إذا ما تُبتُ عن ليلى تتوبُ؟

فها أنا تائبٌ عن حبِّ ليلى

فما لكَ كلَّما ذُكرت تذوبُ؟

بالمناسبة فأنا أحب الشعر وأتذوقه، خصوصا أشعار هذا الأخير فهو يخرج حزني الدفين. لا لا؛ لم أصل لمرتبة تأليف الشعر فأنا اعتزلت الدراسة في الثانوية ولغتي الفصحى ليست جيدة..

صلينا المغرب وكان العشاء جاهزا؛ سأخبر أمي أن تأتي لغرفة الضيوف؛ سمعها ضعيف ولن تسمع ندائي لذا سأذهب لأحضرها من غرفة النوم. تناولنا عشائنا ثم صلينا العشاء وسبقتها إلى غرفة النوم؛ - نحن ننام باكرا كي نستيقظ باكرا لأصلي الصبح وأنطلق لكسب رزقي باكرا. نفس الروتين وقلبي يزداد ضيقا يوما بعد يوم. سأذهب غدا بعد صلاة المغرب الى إمام مسجدنا كي أطرح عليه مسألتي-. فتحت غرفة النوم فإذ بثعبان أناكوندا عملاق يشغل

حيزا كبيرا. متى كان قطر الأناكوندا مترا؟! وكيف دخل هذا الشيء من الباب؟! وهل هناك ثعبان له رأس كرأس النمر وشعر على الرقبة كالأسد ويدان كيدا تمساح وجلد أحمر. ثعبان أحمر في بلدتنا؟ بطول 5 أمتار؟! هناك شرر أحمر يخرج من أنفه كلما علا صدره ثم انخفض. انشغلت مدة في تمعن تفاصيله ولم أخف أو أصرخ؛ فقط بقيت أفكر كيف أخرج هذا الشيء من الغرفة قبل نداء أمي لي. أتى صوت من جانبي فالتفت لأرى؛ صوت شاب على مشارف العشرين يخاطبني قائلا: "عليك أن ترضى بالنهاية". شعرت برغبة في الضحك لكني كتمتها بابتسامة وأجبته:"لم أكن لأصدقك لو لم أرى كل هذا الذي يفوق المنطق. على كل فأنا سعيد وراض لكن قبل هذا عدني أن تجعل الناس يعلمون بموتي كي لا تموت أمي كمدا وجوعا ". هز رأسه بمعنى الموافقة فقابلته بابتسامة؛ تلوت الشهادتان وفتحت ذراعاي كمن ينتظر النهاية ثم رأيت ذالك التنين. نعم؛ أفضل اسم له هو التنين، كما وصفته الأساطير. رأيت عيناه تشعان نارا وقد فتح فمه لتنطلق منه نار كأنها آلهة المجوس التي لم تنطفأ إلا عند ولادة خاتم المرسلين. نار لا تحتاج لوقت كي تحرق. ثلاث ثوان ثم أغلقه؛ دار حول نفسه

دورة كاملة واختفى في لمح البصر. ثلاث ثوان كانت كافية لتحويل العظام إلى رماد.

كما تَفجَّــرَ عَيناً ثرَّةً حجَــرٌ * قاسٍ تفَـــجَّرَ دمعاً قلـبيَ الصَّـلدُ

إنّا إلى اللهِ! قولٌ يَستريحُ بهِ * ويَستوي فيهِ مَن دانوا ومَن جَحدوا

(محمد الجواهري)

الضحية التاسعة:

الاسم:مجهول

اسم الفيس بوك:مجهول

الولاية: مجهول

العمر:39 سنة

العمل: أستاذ متوسطة

ضجيج السيارات؛ صراخ الناس؛ أدخنة المطاعم؛ أضواء الشوارع. حياة صاخبة لا يقدر عليها إلا من ألفها؛ فكرت كثيرا وعلمت لم لا نرى حكيما في مدينة؛ باختصار لأن الحكمة هي وضع الشيء في موضعه والفوضى هي قلب الشيء عن موضعه والضدان لا يجتمعان. الحكمة في الصحاري والأرياف وليس في المدن؛ المدن للصوص والقتلة والأوغاد وأنا أعترف أني وغد كبير وهذا يدعم نظريتي العبقرية. لا أطأ ذيول القطط أو أضرب الجيران أو أشتم المارة في الطريق؛ إن كنت فكرت في إحدى هذه فوجهك يشع بالبراءة. هل سمعت مرة عن مصطلح البيدوفيليا؟ اشتهاء الأطفال؟ لو سمعت به مرة فأود القول أني بيدوفيلي. بدأت القصة مع بدأ اختفاء الأطفال من الشوارع المجاورة؛ أقنع طفلا بالذهاب معي إلى البيت ثم أدخله إلى سيارتي ذات الزجاج الأسود حيث ترى الخارج ولا يراك من في الخارج؛ الأمر يزيد متعة الاغتصاب و(.....).[16]

عمري تسع وثلاثون سنة –وشكلي أصغر من سني بكثير– عينان سوداوان وشعر أملس. لم أتزوج بصفتي لا أميل إلى النساء. أعمل أستاذا في متوسطة وهذا يسهل علي هوايتي ويبعد عني الشكوك.

[16] النقط بين قوسين تمثل مقاطع قام المؤلف بحذفها احتراما لمشاعر القراء

أدرس ثلاثة أقسام وفي الاستراحة أقف أنظر إلى الأطفال وأختار ضحيتي القادمة؛ بعدما أنتهي منه أتخلص منه ومن آثار الجريمة –حتى الآن قتلت نحو خمسة عشر طفلا– دفنتهم خارج المدينة دون أن ينتبه أحد. أسكن في شقة مستأجرة في الطابق الثالث من أحد العمارات؛ لدي عائلة لكني أزورها في العطل الرسمية فقط؛ أعمل من الأحد الى الأربعاء سبع ساعات في اليوم وعند خروجي كل يوم أذهب للمنزل أقضي الساعات المتبقية في تصفح الانترنت و(.....). أعد الطعام لنفسي وأحيانا أتعشى في المطعم المجاور. يراني الناس معلما محترما خطيئته الوحيدة أنه أعزب؛ أرى فتيات الشارع يرمقنني بنظرات بل وأن إحداهن وضعت رسالة قرب باب شقتي، مملوءة بالغزل و(التمعشق)؛ ذات مرة وجدت رسالة مرمية في الشقة -أحدهم أدخلها من تحت الباب- تحوي طلبا لموعد كي (.....). رفضته ومزقت الرسالة، وضعت أشلائها قرب الباب وذهبت لعملي، هذا كان ردا على الطلب.

أنا مدمن على الفيس بوك كذالك، أقضي فيه جل أوقات استراحتي؛ هناك مجموعة أتابع منشوراتها ولا أعلق ولا أتفاعل؛ - أعد من الفئة التي يلقبونها بالأصنام – هذه المجموعة اسمها فلسفة مريض نفسي، شيء ما يجذبني إليها، ربما هو حب الحكمة

أو شيء آخر خفي؛ فيها طفل قبيح لا يروق لي وقبحه جعلني أكرهه، وهذا الكره جعلني أتعقب منشوراته من حين لآخر. عرفت عنه الكثير، هكر محترف وتم اختطافه ولكنه نجى وعاد بعد عام من اختفائه؛ هذا منشوره الأول عبارة عن تحية؛ تحية فقط تحصد خمسمائة تفاعل. أكره هذا العباس القبيح وكرهي له دخله شيء من الحسد بعد هذا المنشور[17]؛ رغم سني الكبير أحيانا أحس نفسي طفلا وأتصرف مثلهم. رأيت تعليقا لآخر يدعى يحيى يسأله عن معنى ڤولدن؛ ڤولدن أسطورة معروفة وهذا العباس تحققت فيه كل شروطها. صوت الباب ينذر بقدوم شخص؛ ذهبت لأفتحه وكان أحد الجيران يطلب ملحا لأن الملح نفد منه والوقت تأخر الآن؛ ذهبت للمطبخ وأحضرت له ما طلب ثم عدت لهاتفي فوجدته على الأرض مقسوما على أربع قطع كأن نسرا وطئ عليه. تبا! هاتف جديد سيكلفني مالا والأهم هو كيف سأقضي الساعات القليلة الباقية من اليوم! النوم هو أفضل حل؛ سأنام لأستيقظ باكرا، لكن كيف سقط الهاتف من على الأريكة؟ وكيف تحطم لأربع قطع من هذا العلو المنخفض؟ المنطق لا يسعفنا أحيانا. أطفأت الأنوار كلها إلا ضوء غرفة النوم فعلي نفض فراشي

[17] الحمد لله أني لم أرق له

من الحشرات أولا؛ أسمع صوت خطوات قادم من غرفة الأريكة التي كنت جالسا عليها؛ المدن تعج باللصوص كما أخبرتكم؛ أخرجت عصا موضوعة تحت فراشي تحسبا لمثل هذه المواقف؛ نزعت نعلي كي أعدم صوت خطواتي؛ أنا أحفظ بيتي عن ظهر قلب وموقع كل أثاث من أصغره إلى أكبره، بيتي منظم جدا وهذا يعطي عني نظرة الحمل الوديع؛ لذا فإن الظلام لن يشكل عائقا أمامي. بخطوات متثاقلة اتجهت نحو الغرفة – صوت الخطوات يزداد حدة – ثم إلى القاطعة الكهربائية لأفاجئ المتسلل فهو لم يلحظ وجودي؛ وضعت يدا مرتجفة عليها وضغطتها فدوى صوت انفجار المصباح؛ شحنة مفاجئة تتلف المنصهرة، هذا يحدث أحيانا لكن ليس هذا وقتها؛ فقدت ورقتي الرابحة الآن وبقي من يجد الآخر أولا؛ كان الباب خلفي مفتوحا ثم اندفع غاضبا ليغلق علي مع هذا اللص. كنت أسمع الخطوات أمامي فمن أغلق الباب خلفي؟ هل هما لصان؟ سأكون في ورطة لو صدق هذا. أمامي على بعد خمسة عشر سنتيم (لاحظ قرب المسافة) شيء ما أشع بقوة؛ جرب أن تبقي هذه المسافة بين وجهك ومصباح ثم اطلب من أحدهم أن يشغله دون أن يعلمك متى؛ ستصاب بصدمة ضوئية تفقدك البصر مؤقتا. بعد ثوان عدت أرى الشيء الواقف أمامي؛ طائر

يشبه النسر لكن أكبر منه بالضعف؛ منقاره بطول يدك وهناك خلف رأسه شيء يشبه القرن ملتوي كحاجبي سانجي[18]. ريشه باللون الأحمر يتخلله الأسود ونار تنبعث من جناحيه. متى كانت النار لا تحرق الريش؟؟؛ الغرفة الآن مضاءة بما يكفي ولم تعد تحتاج مصباحا. اذن هذا هو من حطم هاتفي وهو صاحب الخطوات؛ العصى ترتعش بين يدي؛ كيف سأواجه طائرا بطولي؛ أتاني خاطر أن أنظر نحو قدميه، الفراش لا يذوب رغم تلك النيران، من غير مقدمات فتح جناحيه وانقض محكما عنقي بمنقاره ودار بي دورة في الغرفة – هل يحس هذا الشيء أنه يحمل 75 كلغ؟ - ثم خرج بي من النافذة الصغيرة كأنه شيء غير مادي؛ عنقي يشتكي ألما من الحرارة العالية وقوة هذا الطائر؛ حلق بي نحو السماء العالية فوق الغيوم ثم عاد بسرعة جنونية كالصقر حين ينقض على فريسته؛ عاد ليستقر فوق أحد أعمدة الانارة - ذالك العمود المعطل-؛ جسدي مثبت على العمود وهو جاثم فوقه بمخالبه النارية تحرق ملابسي - لم يحترق الفراش واحترقت الملابس! -؛ يمزق لحم بطني وأنا أتلوى ألما وأحاول الصراخ لكن امساكه بعنقي قبل قليل مزق حبالي الصوتية؛ لازلت حيا وأراه

[18] شخصية أنمي

يثقب غشاء بطني ويخرج أمعائي -هل رأى أحدكم أمعائه بدون أشعة؟- إنه يقطع فقط دون أن يأكل؛ تقطيع تحت درجة حرارة عالية، إنه العذاب بعينه، أعضائي تتلوى ورأسي ارتخى نحو الأسفل؛ الدماء تسقط على الأرض كأنها طل والمارة في الشارع لم ينتبهوا لها ولا ينظر أحدهم نحو الأعلى؛ أراهم ولا يروني؛ أتعذب أمامهم ولا يحسون بي حتى؛ كأن هذا انتقام إله؛ أرى أشباحا تحيط بي على شكل دائرة أنا مركزها؛ أشباح أطفال صغار أعرفهم واحدا واحدا؛ خمسة عشر شبحا يتشفون في وهم سعداء.. تبا لهذه العنقاء؛ هل قلت عنقاء؟؟ الآن عرفت اسما مناسبا لهذا الطائر. توقف احتجاج عضلاتي كلها ومنها القلب أيضاً، لأن العنقاء أطبقت فكها على الرقبة لتجعل الرأس ينفصل عن الجسد ويسقط هناك قرب أحد البشر – ما هو احتمال أن يسقط قربك رأس أستاذ وأنت تتمشى في الشارع! – صرخات كثيرة وتجمع هائل، حتى سكان العمارات خرجوا من شققهم ليروا هذا الرأس المرمي في الشارع يرمق السماء في فراغ وذالك الجسد الممزق على عمود الانارة المعطل فاتح يديه كمن استسلم للأمر الواقع. ولم ير أحد طائرا فينيقيا يفتح جناحيه الملتهبتين ويدوي بصرخة قوية قادمة من أعماق الجحيم؛ لو كان ماديا لأصيب الجمع

بالصمم. حلق بجناحيه بعيدا واتضح أن له ذيلا طويلا يشبه مسبحة. مسبحة مكونة من خمسة عشر كرة مشتعلة.

أما والله إن الظلم لـــــوم * ولكن المســيء هو الظلوم

إلى ديان يوم الدين نمضي * وعند الله تجتمع الخصوم

(أبو العتاهية رحمه الله)

الضحية العاشرة:

الاسم: معاذ

اسم الفيس بوك: mouaz Djarfour

السن:20 سنة

الإقامة: عين صالح

العمل: لازال طالبا جامعيا

"ساعدوني قبل أن أجن؛ إنهم قادمون من أجلي"

هذه آخر كلمات تواصلت بها مع أهلي ولا أحد منهم علم الحقيقة.

أنا معاذ مؤلف الكتاب الأول الذي قرأتموه جميعكم؛ قصة طويلة تبدأ كالآتي

العباس الغني عن التعريف لديه ابن عم يكبره بخمس سنين وهو أنا[19]. بيت متواضع في جوانب مدينة عين صالح حيث تتركد الرمال الذهبية وتفتح (الحمادات) فاها لتدخل في قحل على مد البصر؛ في هذا البيت يسكن عمه الذي هو أبي مع عائلته المكونة من ستة بنات وولد واحد هو أنا. خمس متزوجات وواحدة أصغر مني بأعوام كثيرة. طالب جامعي بولاية بسكرة على مشارف التخرج؛ أنضخ بالأمل والمستقبل الواعد؛ أعق والدي كثيرا لكني لا ألبث حتى أطلب رضاهما؛ هكذا أخطئ وأصحح خطئي. قليل جدا أين أذهب لآولف حيث دار عمي، تستطيع أن تقول مرة في العام فأرى العباس بن عمي ونجلس نتحدث الساعات الطوال ويحكي لي عن مضايقة الأولاد له فلا أذهب لأقتص منهم لأني لن أبقى معه طويلا

[19]لست مطالبا بأن أحكي لكم كل شيء فهناك أمور كان يجب أن تبقى سرا ومنها هذه الحكاية

وسيزيدون عليه أكثر؛ هو يعلم هذه الحقيقة لذالك لم يطلب. نلتقي مرة في العام نجتر بها حوادث سنة. كنت في بسكرة حتى سمعت خبر اختفائه؛ انتابني حزن وقلق كبيرين حتى أني أردت العودة لعين صالح لكن أبي أخبرني أنهم يبحثون عنه وسيجدونه قريبا. مر عام وقلقي لم ينقص مثقال ذرة؛ انخفضت علاماتي لكني استطعت تدارك الوضع؛ في أوقات الفراغ ألعب مع أصدقاء الإقامة لعبة mini militia فأفرغ غضبي في قتلهم؛ ذات يوم كنت على وشك تحطيم رقم قياسي جديد حتى رن هاتفي في وسط اللعبة؛ رقم جديد غير مسجل؛ ربما يكون أمر طارئ، ضغطت على علامة الرد ليأتي الصوت من الجهة الأخرى قائلا: "سأكون أول المبشرين؛ عاد ابن عمك حيا وهو الآن في بيته". لم أصدق الخبر؛ علي التأكد بسرعة، خرجت من اللعبة تحت تعجب الأصدقاء وطلبت رقم عمي؛ صوته يوحي بالسعادة وقد أكد لي الخبر فباركت له ووعدته بزيارة قريبة. بعدها طلبت رقم أبي واستأذنت منه في المجيء فوافق؛ هذا لن يسبب لي مشكلة لأننا في دروس نظرية هذه الأيام. حزمت حقائبي واستقليت أول حافلة متجهة نحو عين صالح؛ صعدت أنا وبضع أناس آخرين فجلس كل واحد في مقعدين وأنا فعلت بالمثل لأن الجميع يريد الراحة ومسافر يجلس

قربك يسلبك إياها. المقعد الثاني خلف السائق - رغم أنه مخصص للعائلات لكني جلست فيه بحكم قلة المسافرين – فجأة أتت فتاة في سني ربما أو أقل بقليل فجلست بجانبي – ما هذه الجرأة! -؛ قطعت تفكيري أن قالت لي بعد مدة أن الكراسي كلها محجوزة بشخص إلا أنا ارتاحت لي؛ هكذا تقبلت عذرها وأدرت وجهي نحو النافذة أتمعن تفاصيل الطريق؛ خمسة عشر ساعة تفصلني عن عين صالح ولن أستطيع البقاء في التمعن طيلة هذه المدة؛ الحمد لله أني أحضرت شاشًا لأواري وجهي وأغط في نوم عميق. الساعة تشير إلى السابعة مساء والنعاس يغلبني؛ حركتني بذراعها لأنتبه ثم قالت: "ستذهب لعين صالح؟" أومأت برأسي على سبيل الموافقة فأردفت:

-أنا متجهة نحو (تقرت) وسنصل بعد ساعة.

نظرت لها بشيء من اللامبالاة فارتسمت علامات الضيق على وجهها؛ لست سلعة رخيصة على زجاج المحلات ولا أحب من يظن بي هذا. مرت تلك الساعة والنوم كان غلبني قبلها وعندما استيقظت على الساعة التاسعة كان المقعد بجانبي فارغا؛

تخلصت من الازعاج أخيرا. الحقيقة أنها كانت فتاة جميلة رغم كل شيء.

-وصلت للبلدة بعد ساعات طوال لكني لم أدخل للمنزل بل ذهبت مباشرة نحو المحطة لأستقل أول حافلة نحو أولف. هناك ضجة كبيرة هنا؛ يقولون أن شخصا غريبا قتل برصاصة في رأسه والشرطة تطوق المكان - الحافلات كلها متوقفة – وجدت تاكسي خارج المحطة ينقصه مقعد واحد فكان هذا تيسيرا من الله. وصلت لآولف ومنه نحو بلدة ابن عمي؛ الجبل الأصفر يطل علينا برماله الذهبية. وصلت عند الظهر والتقيت بالعباس، بعد معانقة طويلة حكى لي قصته من أولها لآخرها وعن المقتول في عين صالح، كل شيء قرأتموه في الكتيب الأول كان من خط يدي.

عدت في صباح اليوم التالي إلى عين صالح فالدراسة مستمرة وبعد يومين سأسافر مجددا؛ عند وصولي سلمت على عائلتي وأخبرتهم بحاله ثم انفردت في غرفتي أتصفح الفيس بوك وإذ بمنشور يحيي فيه الأعضاء وكان موقعا بكلمة ڤولدن؛ الأسطورة القديمة تفسر كل ما حكاه لي حتى لقاءه مع رجل الفندق لم يشأ اخباري به؛ (ڤولدن – حارس – وحوش) أعرف هذه القصة لأني تعمقت فيها

ذات عام، هل يمكن أن تكون حقيقية؟ اذا كانت كذالك فأنا في ورطة حقيقية؛ خيل لي أني سمعت خشخشة في ركن الغرفة فانتفضت كالملسوع خارجا منها ومتجها قرب والدي؛ سألاني عن سبب العرق الذي يتصبب مني فأجبتهما أن لا شيء هناك، فقط بعض التعب من السفر. فكرت كثيرا في لو أنني مت الآن ماذا سيحصل؟؟بالطبع لا شيء. سيحزن أقربائي 3 أيام ويعتادون على الأمر وحزن أبواي سيبقى ربما عاما أو عاما ونصف. سيمتلأ حسابي بالرسائل الترحمية ومنشوراتي كذالك. تسألني عن أصدقائي! سيتذكرونني كلما أرادوا لعب militia بالطبع لأني كنت جلادهم هاهاهاها[20] مات الجلاد مات الجلاد. هناك مثل جزائري يقول: (كي كان حي كان مشتاق لتمرة وكي مات علقوا ليه عرجون) أي أن هناك أناس يحتاجون طول حياتهم لتمرة وعندما ماتوا وضعوا عرجونا على قبرهم. عشت حتى الآن 20 عاما وتنتهي ذكراي في عام! ألا يبدو الأمر غريبا؟! الحقيقة أني صرت اجتماعيا أكثر من اللازم، أخاف أن يأتوا إلي وأنا وحيد؛ لاحظت عائلتي هذا التغير المفاجئ خلال يومين وعند اقتراب سفري أصبحت أردد تلك الجملة في أول المقال فيسألونني: "من هم؟"، أنوي الاجابة لكن من

[20] ضحكة متوارثة

عرف الإجابة سيصير قربانا، فألزم الصمت. دخلت نوبة من الرعب حتى أني تأخرت عن السفر أسبوعا وفي الأخير أتت فترة الاختبارات وعلي الذهاب. أوصلني أبي عند الحافلة وأنا في حال يرثى لها من الخوف؛ لقن السائق وجهتي وطلب منه أن يوصلني حتى باب الإقامة. ودعته بعدها وأنا أستجمع رباطة جأشي؛ الحافلة فارغة تقريبا فحصل مثل المرة الماضية؛ جلست بمفردي لكن في آخر كرسي وأتت بجانبي نفس الفتاة؛ المرة الماضية توقفت في تفرت فماذا أتى بها الى عين صالح؟! وكيف تجد فتاة الجرأة لتجلس بمفردها في آخر الكراسي؟؟ لم أعرها اهتماما وأخرجت هاتفي أدون قصة العباس متحاشيا كل معلومة عن شخصه كي لا يؤذى القراء. خمس ساعات متواصلة وأنا أكتب دون كلل أو ملل وعندما أنهيت الكتابة وجدت الفتاة تنظر نحو هاتفي؛ أظنها قرأت كل شيء، لا يهم، هي قصة وستنشر وسيظن الناس أنها من وحي الخيال. وصلنا للمنيعة مع وقت العشاء، صلينا المغرب والعشاء جمع تأخير ثم عدت للحافلة لأن البرد تمكن من أطرافي؛ وجدتها فارغة فالكل في المطعم يتناولون عشاءهم إلا تلك الفتاة جالسة حيث هي؛ غيرت مكاني ريثما يأتي الناس فلا مؤمن يحب الخلوة مع فتاة ولا عاقل يحب الانتظار في ذالك البرد. في أول الحافلة جلست

أنظر للمطعم وإذ بيد دافئة وضعت على كتفي فالتفت لأجد الفتاة وقد صار لباسها أبيضا وشعرها الأسود منسدل إلى خصرها، قالت بصوت يختصر كل لغات العالم، صوت قادم من أعماق المحيط حيث حوريات البحر، صوت تدركه بكل حواسك فلو قلت أنك لمسته لما كذبت؛ صوت يداعب كل ذرة فيَّ قائلا: "حانت النهاية"؛ لم أنتبه لنفسي وأنا أجيبها: "أوصلي تلك الحكاية إلى الشخص المناسب"؛ ابتسمت بطرف فمها دليلا على الموافقة ثم نظرت أمامي؛ هناك في آخر رواق الحافلة كلب بثلاث رؤوس يندفع نحوي كالسهم؛ لم تعد هناك ردة فعل في جسدي فكل ذرة فيه أقرت بالنهاية. كلب بحجم الأسد يهرول في الرواق ولا يلمس كرسيا حتى! هكذا قرأت عنهم ذات يوم: "بوابات ثمانية ووحوش تتحدى المنطق ". لم أتصور يوما أن أكون ضحية إحداها؛ رأس أطبق على الرقبة ورأس أمسك بخصري والثالث أحاط بقدمي. تتحرك 360 درجة برشاقة عالية لذا لا عجب فيما حصل بعدها. هل هناك أمل في نجاة شخص انقسم لثلاثة أجزاء؟!

الضحية الحادية عشرة:

الاسم: صوفيا

اسم الفيس بوك:sofaiAlf Racha

العمر: 26 سنة

المهنة: أستاذة جامعية

الإقامة: أمريكا – واشنطن

"إرنو روبيك" مخترع مكعب روبيك السحري؛ المكعب الذي أعشقه، مئات المرات أقوم بحل لغزه ولا أمل؛ أصلح وجها مع السطر المحيط به ثم أصلح السطر الأوسط ثم الوجه المقابل ثم السطر الأخير ويفتح لك المكعب؛ أحاول في كل مرة تحطيم رقم قياسي جديد. اسمي صوفيا وأعيش في العاصمة واشنطن حيث حياة الصخب وضجيج الطرق -أراها مادية أكثر من اللازم وأتعجب فيمن يقول أنها بلاد الحلم-؛ في عمارة من سبع طوابق أسكن أنا وعائلتي المكونة من أختين وأم؛ ذالك أن والدنا توفي قبل شهور. عمري 26 سنة حاصلة على شهادة الدكتورة في علوم التاريخ وأعشق هذا المجال كما أعشق مكعب روبيك؛ أعمل أستاذة محاضرة في إحدى الجامعات ومحبوبة من طرف الطلاب؛ دكتورة صغيرة أعرف فيما يفكرون وكيف يشعرون لذالك أجعل نفسي منسجمة معهم. مع دراسة التاريخ أحببت دراسة اللغات وتعلمها فأول لغة بدأت بها هي العربية وذالك بسبب كثرة الروايات العربية الحائزة على جوائز من عندنا وأنا أحب قراءة الروايات فتعلمت هذه اللغة؛ الروايات المترجمة؟ لا، لا أحبها، الترجمة تنقص القيمة الأدبية في نظري وإن لم تقرأ الرواية كما ألفت فلا داعي لأن تقرأها. المهم أنني عشقت العربية دون أن أدري فهي كلما

ظننت أنك ألممت بمفرداتها تظهر لك أشياء جديدة تخبرك أنك مخطئ؛ وفي الفيس بوك ولجت لمجموعات عربية كثيرا لرؤية هؤلاء الشعوب عن قرب؛ ومن هذه المجموعات فلسفة مريض نفسي، دخلت إليها حديثا وراقتني منشوراتها العميقة ففي كل منشور رواية تستطيع قراءتها. فيها أعضاء كثر ومن هؤلاء الأعضاء شخص وضع منشورا وقعه بكلمة ڤولدن؛ زرت ملفه الشخصي لأراه عن قرب؛ طفل جزائري مشوه الخلقة، ليس فيه علامة تدل على تحقق أسطورتنا.

سأعود بكم قليلا الى الوراء؛ قبل أسبوع بالضبط، وجدت شخصا واضعا صورة لمكعب روبيك في تلك المجموعة ومعلق عليها ب "أختي الصغيرة تريد تعلم حله؛ هل منكم من يستطيع؟"[21]؛ أردت وضع الطريقة في المنشور لكني تذكرت أنها أعقد من أن يفهمها من تعليق؛ أرسلت له رسالة أخبره أني أستطيع المساعدة فوافق بأدب ثم طلبت منه أن يرسل لي صورة بعد كل مرحلة كي أرى التقدم؛ لكنه طلب مني أن أمرر مكالمة فيديو مع أخته مباشرة، شككت في أنه استدراج وخدعة فأردف قائلا أنه لو ظهر على المكالمة فبإمكاني قطع الاتصال ووضع حظر، لن أخسر شيئا لذالك

[21] لم أرى هذا المنشور وإلا لكنت ساعدته بحكم أني أعرف حل هذا المكعب

وافقت، تواريت برداء لففته حول وجهي ثم ضغطت زر الاتصال، تأخر قليلا ليرفع السماعة وأفاجأ بطفلة في عمر طلابي تماما، أظنها في التاسعة عشرة أو العشرين، علمتها الطريقة الأولى وهي اصلاح وجه مع جوانبه وطلبت منها أن تتمرن عليها وغدا سأعاود الاتصال بها لأعلمها الخطوة التالية. انتهى الاتصال ثم قام ذالك الشاب بشكري ولم يطل الحديث كثيرا وهذا ما أثار إعجابي به، ليس من النوع الذي يقتنص الفرص لاصطياد الفراشات. هكذا تكررت الاتصالات بيني وبين أخته لمدة أسبوع وهو بنفس الحالة لا يطيل الكلام حتى أنني شككت في أمره وسألت أخته ان كان متزوجا أم لا، فأجابتني بالنفي قائلة أنه لم يجد من تناسبه بعد. من شكل أخته أستطيع القول أنه شاب وسيم، المهم أن أخته تعلمت حل المكعب وبقي لها القليل من التمرن لإتقانه -حيي بالذكر أن هذه البنت لا تملك هاتفا ولا فيسبوك-؛ ودعتها في آخر يوم ولم أدرك إلا حينها أني تعلقت بها، أول تلميذة أعلمها حل المكعب.

-لنعد لقصتنا الآن؛ بعدما وجدت ذالك المنشور سألت أخ تلك الطفلة عن هذا العضو، فأخبرني بقصته قائلا إنها إشاعة ولا تصدق؛ لكني أعلم أنها حقيقة؛ تم اختراق نظام دفاعنا قبل أيام

وإطلاق صاروخ باتجاه الجزائر مما أدى إلى اضطراب سياسي كبير بين البلدين، هذا الفتى هو الفاعل لا ريب، دفاعنا لا يخترق بسهولة وإن اخترق فالأمر يحتاج شهورا، هذه أسطورة تنطبق على القولدن تماما. كان الليل أسدل ظلامه منذ ساعة على الموجودات وأنا غائصة في تلك الأفكار وصوت أمي من الخارج يقول لي "صوفيا! ألن تغيري رأيك وتقبلي عريسا؟" -جميع من يتقدمون لي أراهم سطحيين وحمقى؛ من قال ان الأمريكيين أذكياء؟ 16 مليون أمريكي يظن أن الحليب بالشوكلاتة يأتي من البقر البني اللون![22] ". لا أحب الزواج من مغفلين لاسيما بعد أن زاد تعلقي بذالك الشاب، قالت أخته أن عمره ثمان وعشرون، مناسب تماما لي. مهلا؟ أنا لم أصلح ذالك المكعب الموضوع فوق الطاولة! من أصلحه؟ قبل نصف ساعة قمت بتشكيله فمن أعاده لوضعه؟ لابد أني أهذي. حملته بين يدي وتمعنته قليلا ثم أعدته لمكانه؛ سأذهب لأعد قهوة لنفسي وأعود؛ وأنا متجهة نحو الباب وإذ به ينغلق ببطء، خيل إلي أنه سيسبقني فزدت من سرعتي وفي نفس الوقت زاد من سرعته أيضاً وانغلق محدثا ضجيجا كبيرا، وضعت يدي على قبضته وأدرتها، لا شيء! الباب مغلق من الخارج!

---

[22] حقيقة

كيف حصل هذا!؛ أمي تغني في الغرفة المجاورة وأختاي هناك يشاهدان التلفاز، صرخت بأعلى صوتي لكن لم يسمعني أحد؟ محال! متى كانت غرفتي عازلة للصوت؟ استسلمت للأمر الواقع وإلى حين موعد العشاء سيبحثون عني ليجدوا الباب مغلقا وتحل المشكلة؛ ألقيت نظرة على الغرفة، متوسطة الحجم بها خزانتان الأولى للملابس والأغراض والثانية لأوراق الدراسة والعمل والبحوث وبينهما سرير متواضع بقربه طاولة موضوع عليها مكعب روبيك الخاص بي؛ لحظة! تركته محلولا فمن أشكله مجددا! الأمر لم يعد يحتمل، عدت لصراخي مجددا لكن هذه المرة انطفأ ضوء الغرفة. ومن طرف عيني رأيت شيئا أشبه بإنسان بدين؛ كومة من الشعر الأحمر المضيء تكاد لا ترى ملامحه من فرط شعره، نقطتان يشع منهما ضوء أحمر أعمق من لون الشعر تبينت أنهما عيناه؛ طوله كطولي ولا يحمل أي شيء في يديه وهذا يغريني للمقاومة، حملت المكنسة ذات العصا ولوحت بها أمامه كي لا ينوي الاقتراب، ستأتي أمي بعد قليل وسننادي الشرطة، ابتسم ابتسامة عريضة وبدأ يهتز كأنه يضحك ثم استدار كأنه يريد المغادرة، فجأة أطلق كلاما بصوت شيطاني: "صوفيا تعني الفتاة

المحبة للمعرفة؛ المعرفة داء ودواء وقد وقعت على دوائنا ودائك"؛ أطرافي ترتعد من دوي هذا الصوت في داخلي ثم...

(مكعب روبيك له ستة أوجه ويقال أن الاحتمالات الممكنة له تغطي الكرة الأرضية اذا ما نشر. كل وجه يستطيع الدوران 360 درجة. الرأس والساقان واليدان والبطن؛ جسم الإنسان مثل مكعب روبيك)

جسم الإنسان يصبح مثل مكعب روبيك اذا التقى بهذا الوحش؛ اليدان تدوران في اتجاهان مختلفان وكذا الساقان والبطن أحب اليمين فذهب إليه وأما الرقبة فاستدارت 720 درجة. هل تستطيع البومة فعل ذالك؟ أظنني سأدخل موسوعة غينيس لو أنني بقيت حية حينها.

الضحية الثانية عشرة:

الاسم: شذى

اسم الفيس بوك:샤자샤자

العمر: 20 سنة

الإقامة: كوريا الجنوبية

العمل: لازالت طالبة جامعية

فتاة كورية من أصل عربي فلا تستغربوا أن اسمي هو "شذى"؛ أمي كورية معتنقة البوذية وأبي ملحد. لديهما ابنة وحيدة التي هي أنا؛ أتممت العشرين قبل أشهر وأصبحت أحس نفسي كبيرة؛ كبيرة للبحث عن عريس. أسمع أغاني فرقة BTS وأحب أعضائها وأتمنى لو أن أحدهم يطلب الزواج مني حينها سأتردد قليلا ثم أوافق؛ أحلام اليقظة تبعدني عن الواقع. أدرس في السنة الثانية في جامعة سيول الوطنية -كلية الطب- وأعد من بين ثلاث المراتب الأولى في الجامعة؛ الجميع يغار من جمالي وذكائي، أقولها بدون فخر، يتسابق الشبان لنيل رضاي ولكني أراهم حمقى، بالطبع لا أحد سيصل لوسامة أعضاء فرقتي المحببة! الدراسة ثم الدراسة هذا ما يميز كليات الطب حول العالم وعلي تقبل الأمر والمذاكرة من السادسة مساء حتى العاشرة ليلا ثم أحمل هاتفي وأضع السماعات في أذني أستمع إلى أغاني BTS؛ أتصفح الفيس بوك بحثا عن آخر الأخبار الكورية والعربية -أنا أتقن العربية من والدي-، أحيانا تظهر لي منشورات دينية كتعاليم بوذا المقدس، لماذا سأعبد بشرا مثلي مثله! هذا ما جعلني لا بوذية، ومنشورات لا دينية كالإلحاد وبحكم اطلاعي على الطب فلا أقبل أبدا أن يقال عن جسم الإنسان أنه حصل بعشوائية، كل هذا التعقيد

والإحكام وفي الأخير تقول أنه عشوائي وعبارة عن تفاعلات كيميائية! هل للحم والعظم مشاعر حيث أنه يضحك ويبكي ويتذكر الماضي، هناك شيء مكون للإنسان أكبر من كونه كتلة مادية؛ الإلحاد يلغي هذا كله فألغيته من اختياراتي فأصبحت ربوبية منكرة للأديان ومؤمنة بوجود إلاه. دعونا من هذا ولننتقل إلى سرد أحداث يومي؛ الصباح تبدأ الدراسة وتنتهي عند الخامسة فأذهب للبيت وأرتاح قليلا ثم أشرع في مذاكرة ما درسناه والتعمق فيه والبحث عن ما خلف السطور؛ عند العاشرة مساء أتناول عشاءي وأرفه عن نفسي قليلا بسماع الأغاني وتصفح الفيس بوك والمراسلة مع الأصدقاء؛ لدي مجموعات كثيرة كورية وعربية؛ منها مجموعة فلسفة مريض نفسي الأقرب إلى قلبي؛ هي تعطي قيمة للإنسان أكبر من مجرد حيوان ناطق؛ لدينا مشاعر نخبئها وأخرى نظهرها نفكر في حلول لمشاكلنا اليومية ونتذكر الماضي؛ هذا ما يميزنا عن الحيوانات ويجعلنا أعلى رتبة منها ولنا الحق في حكم العالم وجعلها دوننا. كنت أنشر فيها كثيرا حتى قام المسؤول نذير بهلول بدعوتي لتولي منصب المشرف فوافقت رغم قلة نشاطي فيها؛ تعرفت على أناس طيبين مثل خليلة وشاهين وبقايا حنين والعباس وتشاجرت مع آخرين مثل ساري الحسين وسناء؛ تعلقت

بها كثيرا. ذات مرة وضعت بقايا حنين منشورا "ضعوا لنا ءاية استوقفتكم"؛ أعلم أن الآية يقولها المتدينون لكلام كتابهم المقدس وهذه فرصة لي لأقرأ قليلا منه؛ تتبعت التعليقات حتى استوقفني تعليق لشخص استوقفته ءاية تقول:

"ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البروالبحر"

أول دين أرى في كتابه المقدس تكريما واضحا للإنسان على الحيوان؛ تأثرت للحظات بهذا الموقف ثم نظرت للساعة فوجدتها تشير إلى الأصفار الأربعة فأطفأت هاتفي ونمت.

(بعد أسبوع) استيقظت مع الصباح فوجدت كتابا تحت وسادتي اسمه فلسفة مريض نفسي وتحتها مكتوب "الفتى المشوه". من وضعه هنا؟ لا أعرف شخصا عربيا واحدا في كوريا غير أبي وهذا الأخير لا يملك كتابا بهذا الاسم! المهم أن ذالك اليوم كان عطلة نهاية الأسبوع ولا دراسة فيه فعكفت على الكتاب أقرأه؛ وجدت فيه أعضاء من مجموعتنا وباسم الفيس بوك أيضاً؟ بطل القصة هو فتى مشوه اسمه العباس! العباس نفسه الذي أعرفه! لكنه غائب منذ عام؛ من أحضر هذا إلى هنا؟ أسئلة كثيرة تدور في ذهني وسأجد إجابتها عند العباس؛ سأنتظر عودته. الساعة تشير إلى

منتصف النهار، فتحت هاتفي ودخلت للمجموعة بعد غياب أسبوعين لأجد العباس قد عاد؛ عاد ناشرا منشورا ترحيبيا موقعا إياه بكلمة ڤولدن؛ ذات مرة حكت لي أمي عن هذه الأسطورة الأمريكية قائلة أنها تحدث كل عشرة أعوام، بالطبع حينها لم أصدقها ولكن الآن الأمر يختلف. هذا الفتى ليس عاديا؛ شردت أفكر والهاتف في يدي حتى صحوت لأجد المنشور كما هو وعليه تعليق من يحيى حاز تفاعلا لا بأس به. نادتني أمي للغداء فهرعت مسرعة إليها؛ وعندما أنهينا التهام الرز والدجاج والكلام الفارغ عدت لغرفتي لآخذ قيلولة كعادتي وهنا حلمت حلما غريبا: "ناسك بوذي يصنع شكلا من حبوب الأرز المطهوة ثم دبت الحياة فيه فأصبح يطعمه إبرا حديدة وهو يكبر ويكبر حتى تحول لوحش؛ وحش برأس ذئب وقرنا كبش ومخالب نسر وجسم انسان؛ ثم نظر باتجاهي وبدأ في الركض".

استيقظت مفزوعة من الحلم والعرق يتصبب مني؛ كان كابوسا!؛ الساعة الآن السادسة، نمت خمس ساعات كأنها دقائق؛ حان وقت المراجعة والشمس غادرت النصف العلوي من الكرة الأرضية؛ تعمقت في التفكير حول ذالك الحلم حتى أني نسيت الكراسات التي بين يدي ثم اندفع باب غرفتي بقوة وأغلق؛ أبي

وأمي ذهبا في جولة وسيعودان بعد ربع ساعة على الأكثر وسأحس بالأمان؛ لا مشكلة! "ربع ساعة تكفي وتزيد" صوت قادم من أعماق الجحيم؛ الصوت قادم من خلفي؛ استدرت في جلستي لأرى وحشا برأس ذئب وقرنا كبش ومخالب نسر وجسم انسان؛ تماما كالذي رأيته في الحلم. يسمى ب (البولغسار) لكنه من ثقافة كوريا الشمالية وليس الجنوبية! "هل راقت لك الهدية؟"؛ أفهم ما يقوله دون أن يشرح، يقصد الكتاب لا ريب فهو الذي وضعه تحت وسادتي." خمسة عشر دقيقة كثيرة جدا" وأشار بيده نحوي ثم جسدي بدأ ينكمش؛ القدمان تصعدان نحو الأعلى واليدان تلتصقان بالبطن والرأس ينزل نحو الأسفل -ضغط الرقبة جعلني أفقد الوعي- أنكمش شيئا فشيئا؛ إلى أن أصبحت بحجم كرة السلة، قام بركلي نحو الحائط فالتصق جلدي به من قوة الركلة. سيعود أبواي ليجدا أنهما فقدا طفلتهما الوحيدة؛ أصبحت كرة معلقة بالجدار لا ترى من معالمها سوى خيوط الشعر المنكوش.

الضحية الثالثة عشر:

الاسم: أحمد

اسم الفيس بوك: Ahmed hero

العمر: 40 سنة

الإقامة: مصر – الإسكندرية

المهنة: عالم آثار.

خمسة عشر سنة من المعاناة والعمل؛ أعمل كل يوم في التنقيب عن الآثار الفرعونية؛ نحفر بحثا عن المقابر القديمة، عمل ممل خصوصا عندما تحفر أمتارا ولا تجد شيئا. أنا أحمد من مصر عمري أربعون وأقيم في الإسكندرية، متزوج ولم أرزق بأطفال، ذالك أني عقيم، ورغم هذا لم تتركني زوجتي الوفية وحيدا بل بقت معي ووعدتني أننا سنشيخ معا أو نموت معا. أعمل عشر ساعات في اليوم، من الثامنة صباحا حتى السادسة مساء وأعود مثل الفأر مغبرا إلى المنزل فآخذ حماما ثم أصلي المغرب وأجلس مع زوجتي نتآنس بما فعله كلانا هذا اليوم؛ هكذا تمضي أيامي كلها. مرة كنا نحفر حتى وجدنا تمثالا صغيرا بحجم اليد يحاكي أبا الهول في شكله فقمت بتنظيفه وطلبت من رئيس العمل أخذه معي لأتفحصه بحكم خبرتي فوافق على الفور. في البيت خصصت له وقتا وعكفت أتابع الرسومات المنقوشة عليه؛ أحرف إنجليزية؟ من يخط حروفا إنجليزية على آثر فرعوني وجد حديثا؟ g وo وL وآخر الحروف مكشوطة؛ أظنها ثلاثا أو أربع، لا يهم، أثر فرعوني لا يدل على شيء وسأعيده غدا إلى المسؤول. وضعته تحت الطاولة في ركن الغرفة كي أجنبه الضرر ثم استلقيت على السرير - زوجتي في بيت أهلها ولن تعود حتى الغد- سأنام بمفردي الليلة. الأرق يثير

اشمئزازي، عندما تتخذ جميع الوضعيات ويأبى النوم أن يزورك؛ حملت هاتفي لأتصفح الفيس بوك -غبت عنه شهرا -؛ منشور بعد منشور حتى ذالك المنشور من مجموعة فلسفة مريض نفسي لطفل اسمه العباس كنت أعده فيما مضى ابني الصغير ولكن منذ ان اختفى أصبحت أزور الفيس بوك مرة في الشهر؛ عاد ابني ملقبا نفسه بالڤولدن؛ أين رأيت هذه الكلمة؟ اااه؛ منقوشة حروفها على بطن التمثال؛ أمر عجيب! ما الرابط بين هذا وذاك؟

وصلني خبر منذ أشهر عن طفل مشوه قادم من الجزائر وهو في صفوف الجيش يتدرب؛ انتابني الفضول فذهبت للثكنة العسكرية أسأل عنه فقالوا أن اسمه العباس! نفس الاسم! طلبت مقابلته لكني قوبلت بالرفض. رحلت ولم أعد إلى هناك بعدها.

ڤولدن! هل هو من قام بنحت هذا الاسم ودفنه كي أجده أنا فيما بعد؟ هذا احتمال غبي من كل الجوانب. المهم أني علقت على منشوره ثم حادثته في الخاص وحكى لي قصته كلها من أولها إلى آخرها؛ ڤولدن العقد هذا الفتى وأنا أراهن على هذا. الهاتف يسقط من يدي والنوم أخذ جفني ولم أنتبه لذالك التمثال الموضوع في ركن الغرفة فقد أصبح يزحف ببطء إلى أن وصل عند

السرير، حجمه يزداد شيئا فشيئا حتى أنه لامس السقف؛ أطلق شعاعا أحمر من عينيه ثم رفع قدماه الأماميتان وألقى بنفسه على سريري؛ هل سقط عليك ذات يوم تمثال أبي الهول؟ أنا جربت هذا ولأني كنت نائما لم أحس بشيء؛ لم أشعر بأني انتقلت من حياة الأحلام إلى حياة البرزخ؛ وذالك السرير المعدني انثنى حديده ولامس الأرض؛ وأنا النائم هناك اختلطت أمعائي بخيوط الفراش.

في الصباح عادت زوجتي فوجدت ذالك المنظر المهيب؛ زوجها أصبح الآن كالفأر حقا؛ فأر وطأته بقدمك فخرجت عيناه من مقلتيهما وتقطعت أمعاءه وتهشمت جمجمته؛ تلك المرأة الصلبة المحبة لزوجها تراه هكذا لاشك أنها فقدت عقلها وأغمي عليها أولا. تعجب رئيسي من غيابي عن العمل وأرسل –أعز أصدقائي– فيذهب لمنزلي لأن ذالك المجسم مهم ويريد الرئيس أن يطلع اليوم على النتائج. وصل الرسول عند الباب ودقه مرارا مناديا "أحمد؛ أحمد" لكن أحدا لم يجبه؛ كان الباب مفتوحا فقرر من داعي الفضول أن يدخل خطوة خطوة ويكرر النداء كي يرفع عن نفسه الحرج – رائحة العطن تغمر المكان – خطوة، خطوة حتى وصل عند غرفة النوم وكان الباب شبه مفتوح فدفعه براحة يده ببطء مكررا اسمي؛ وجد زوجتي ساقطة على الأرض وأمامها أبشع منظر

قد تراه في حياتك؛ سرير ملتوي الى الأرض وعليه جثة ممزقة تكاد لا تفرق بين الأمعاء والحديد؛ الذباب وجد وجبة دسمة فاحتشد بالمئات - هذا هو مصدر الرائحة -. ذهب مسرعا نحو الهاتف وطلب الشرطة والإسعاف على عجل؛ وبعد ربع ساعة كان المكان مطوقا تماما وفرقة البحث الجنائي ترفع الأدلة والبصمات؛ طبعا أول من استجوب كان صديقي وقد حكى لهم قصة حياته منذ أن كان في بطن أمه؛ وزوجتي أفاقت من الغيبوبة بعد شهر وكانت تحكي طلاسم غير مفهومة كأنها تعاويذ؛ استبعدت الشرطة أن يكون الفاعل هو زوجتي خصوصا بعد شهادات العائلة على كوننا منسجمان تماما؛ وفوق هذا فأداة الجريمة لم توجد وهي بطول المتر والنصف وبوزن ثلاث قناطر؛ دعك من تخمر الجثة بسرعة قياسية , يعني أن الفعل خوارقي تماما. أخذت الشرطة ذالك المجسم مع الأدلة وتمعنوا فيه كثيرا؛ في الأخير أفضوا إلى أنه أثر عادي وأعادوه إلى مسؤول الحفر فقام بتحطيمه إلى فتات كونه نذير شؤم؛ لكنهم لم يلحظوا كونه خفيفا جدا وأن الدماء تغطي واجهته؛ فهل من المعقول أن تصطدم الدماء بشيء خفيف كهذا ويبقى واقفا قرب السرير؟ حتى أن الحرف الأول g اختفى وظهر في الأخير حرف d. إن هذه الحروف لها إرادة! لا يعقل.

Gol ⟶ Old

الضحيتان الأخيرتان:

الاسم:هند وفاطمة

اسم الفيس بوك:ابنة الصحراء المغربية– حكاية فتاة

المهنة:الخياطة

العمر:25 -22

الإقامة:المغرب

الحياكة هي ضم الخيوط إلى بعضها لتشكل ثوبا متماسكا إنها حرفة تحتاج يدين خفيفتين وصبرا طويلا. أنا هند من مواليد 1990، أنحدر من بلاد المغرب ولا يهمكم أين بالضبط؛ المهم أني أعيش مع أمي الطاعنة في السن وأختي فاطمة تصغرني بثلاث سنوات؛ كان أبي خياطا وورثنا عنه هذه المهنة مع المحل بعدما توفي بمرض عضال. أكثرية اليوم نقوم بحياكة ملابس الأطفال وبعض أغراض الزينة ونبيعها، نطرز ونخيط الملابس؛ لا يوجد عمل تقوم به الإبر إلا وفعلناه -عدا الطب -؛ هذا العمل يعود علينا بمال يجعلنا في الطبقة الوسطى من المجتمع؛ لا نكثر الكلام مع الزبائن ولا نترك مجالا لأي تمساح يحاول الاصطياد في المياة الراكدة؛ نتاجر كما أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم وكما يليق بالنساء المحتشمات. قبل أيام جاءتني فكرة وهي أن أفتح قناة فيسبوك لتعليم عمل الإبر؛ كنت أنوي تطبيقها لكن الوقت لم يسمح لي. نعمل في المحل من الثامنة حتى الثانية عشرة نبيع ما نقوم بصنعه، وفي باقي اليوم نصنع ما نقوم ببيعه. عند العاشرة مساء نستريح من تعب اليوم ونعود لحياتنا الطبيعية. منزلنا يحوي فوضى عارمة لو أردت المسير بداخله ستحتاج دقائق لتنتقل من غرفة إلى غرفة، تبعد هذا بقدمك وذاك بخصرك. غرفتي بها كتب

وروايات أقرأ منها أحيانا في وقت عطلتي، غرفة متوسطة الحجم وخزانة في الركن، سرير بجانب الحائط وزريبة مفروشة على الأرض، خيوط مرمية هنا وهناك كأنها أوراق وإبر بأحجام مختلفة مغروسة في اسفنجة موضوعة على الطاولة بجانب السرير. كثرت الخطوط في باطن يدي بسبب الإبر، أفتخر بشيء واحد من هذه المهنة وهي الصبر الذي علمتني إياه، أحس لو أن هموم العالم كلها ألقيت على كتفي فلن تؤثر في. اليوم سأحيك معطفا صوفيا آخر لأن الطلبات عليه تتزايد؛ الخيط الأسود الغليظ يجعل البرد يفر منك فرارا؛ يستغرق مني ساعة ونصف من العمل المتواصل، سرعة ودقة ومهارة أمتاز بها والكل يشهد بهذا؛ أما أختي فاطمة فلم تتعلم الحياكة بعد وإنما تقوم بالتطريز والخياطة؛ يداها في الخياطة تعملان بأدق من الآلة، الفاصل بين الغرزة والغرزة لا يتعدى الملميتر. صديقاتنا دائما يطلبن منا المشاركة في معاهد لتعليم فنون الإبر ولكننا لا نستطيع ترك والدتنا بمفردها، دعك من أننا نحب محل أبي ولن نتركه. تقدم لي مرة أحد الخطاب ولكني رفضته، يسكن بعيدا وأنا لن أبتعد عن العش الذي ترعرعت فيه؛ أختي أرادت فعل نفس الشيء لكني زجرتها، أستطيع التكفل بالعمل بمفردي، صحيح أن دخلنا سيتراجع لكنه يكفي لسد

حاجيات أمي. أعمامنا وأخوالنا؟! أمي بريطانية وأبي مغربي ويمكنكم تخمين باقي القصة.

اليوم هو الخميس وغدا سأرتاح من تعب الأسبوع؛ يوم كامل لن أمس فيه إبرة. صعدت لغرفتي بعد صلاة المغرب أتفقد رسائلي على الفيس بوك؛ ثم إلى مجموعة الأصدقاء "فلسفة مريض نفسي"، تعرفت على صديقات جدد منها، ابتسام وخليلة وحنين وحليمة ووو، شباب آخرون محترمون ولا يصطادون كحال التماسيح، باسم وعبد الجليل والفتى العباس، هذا الأخير عرفتني عليه أختي، فتى سخر منه الكل وضاقت به الدنيا وشقى الكثير في سن مبكر. المهم دعنا من الفيس بوك ولنعد لماذا فعلت بعد أسبوع من الغياب عنه؛ رحت للخزانة أقتني كتابا من التي استعرتها لأقرأه فوجدت واحدا عنوانه "رواية فلسفة مريض نفسي"، أنا لم أقتني كتابا هكذا في حياتي! من أتى به إلى هنا!، ناديت أختي فسألتها وأجابت بنفي العلم عن أي شيء عنه؛ هكذا فتحناه ورحنا نقرأه سويا؛ الأعضاء نفسهم والمجموعة نفسها وبداية القصة نفسها، تبقى أن نسأل العباس؛ عدنا للفيس بوك بعد أسبوع من الغياب -كثرت علينا الأعمال في الآونة الأخيرة- وجدنا منشورا له وقد عاد من غيبته (...).

-أنا فاطمة، أخت التي كانت تحادثكم قبل قليل. في ذالك اليوم عرفنا أن أسطورة من الأساطير القديمة أضحت حقيقة، وفي نفس الوقت تغيرت طباع أختي، أصبحت قليلة الأكل وكثيرة التفكير وآثار التعب على وجهها طوال اليوم، حتى أنها طلبت مني أن نبيت مع أمي من اليوم فصاعدا، لم أملك مجالا للرفض فنظرتها لم تترك لي الفرصة؛ لم أملك الجرأة لسؤالها عن هذه التغيرات فأولا هي لن تجيبني وثانيا زادت عصبيتها كثيرا. نقطة البداية هي الڤولدن وسأعرف السبب منها؛ بحثت في الانترنت عن معلومات أكثر فوجدت: وحوش وبوابات وقرابين. خلاصة القول أننا في خطر؛ وأختي كانت تعلم هذا؛ صارحتها هذه المرة فانشرح صدرها لأن هناك من يشاركها نفس المصير. تعمقنا في الموضوع أكثر واتفقنا أن يبقى الأمر سرا بيننا، ثم قررنا التواصل مع العباس لنجد حلا. أفرغنا يوم الأربعاء وجعلناه عطلة طارئة لنحل فيه مشكلتنا. كنا منهمكين على هاتف أختي نتصفح الانترنت ولم نلحظ أن الشمس غابت وأن أمي ذهبت للمرحاض ولم تشأ قطع عملنا. متى ظهرت كرة بحجم الكرسي بجانب الخزانة؟ لا نعلم. متى كانت هناك كرة مغروسة فيها الإبر ولا تنفجر؟ لا نعلم. متى ستعود أمي إلينا؟ لا نعلم. كرة عبارة عن خيوط غليظة متشابكة

فيما بعضها والإبر بالملايين ملتصقة بها كالقنفذ؛ من وسط تلك الأشواك يبرز فم صغير بحجم الإبهام؛ الغرفة فوضى كما عرفتم عنها وضوء المصباح يعم المكان كله. الخيوط المترامية على الأرضية تنجذب نحو الشيء كأنها ديدان وكأنه مغناطيس؛ انغمسنا في الهاتف كثيرا حتى عمنا في عالم آخر لا ندرك الموجودات من حولنا؛ كنت أمسك خيطا في يدي أفركه بين أصابعي كعادة قديمة، أحس بالخيط يقاوم كالحي ثم فر من أناملي نحو المجهول؛ أيقظني هذا من غفلتي ثم نظرت حولي لأجده هناك بجانب الخزانة.

مرحبا! أنا هند الغبية؛ هند التي تظن أن كل شيء سيسير حسبما خططت ونسيت أن الرياح قد تجري بما لا تشتهي السفن، قرأت آخر معلومة على الإنترنت وهي:

"الجن تخاف من انفتاح البوابة الثامنة لأن الوحوش تكسب صفة أخرى فيزاح الستار بينهم ويظهر آخرون أشد فتكا؛ وقد وقعوا معاهدة قبل خمسمائة سنة تقضي ب..".

يد أختي تحرك كتفي كمن رأى وحشا؛ وحشا! ألم أقل أني غبية فلم أنتبه لأننا أمضينا ساعتين على الهاتف ونسينا أمنا وحتى ما

حولنا. نظرت إلى حيث ترى وأنتم تعرفون ما معنى أن يصبح ما تعشقه هو أسوأ كوابيس ستزورك في أيامك القادمة -إن كان لك منها شيء -. الشيء يتدحرج ككرة تماما،-يتقدم نحونا ببطء-؛ كرة لزجة لا يتغير شكلها -لو كنتم معي حينها لفهمتم-؛ هاتف سقط مني منذ النظرة الأولى والآن التفت نحوه فلم أجده، وجدته في يد فتى في عمر العباس وإن كان يشبهه قليلا، ابتسامته تهز روحك وصوته يأخذك في عالم الأحلام، قال بصوت رزين وهو ينظر في الصفحة التي كنت أقرأ منها: "معاهدة سرية بين الجن والوحوش! اممم الأمر مثير حقا؛ للأسف، المعرفة تضر أحيانا خصوصا عندما تأتي في الوقت الغير مناسب"؛ ثم تقدم نحوي ووضع الهاتف في يدي -الشيء يقترب ببطء كالحلزون- وقال بنفس الصوت: "للأسف؛ نحن لا نقدر عليهم؛ نستطيع فقط أخذ الألم"، ابتسم كطفل مرح رأى ما يحب؛ -الشيء يفصله متر عنا- أنفاسه كأنها نافذة مفتوحة في يوم عاصف، نظرت نحو أختي لأجدها مبتسمة! مبتسمة رغم أنها أقرب للشيء مني! قالت بصوت ضاحك: "أرى النهاية يا هند؛ أراها وقد مزق الستار الفاصل بين الحقيقة والوهم"؛ الشيء ينضغط وينضغط حتى أصبح بنصف حجمه السابق ثم. يقال أن كل شيء ينضغط سيعود لطبيعته في

زمن معين؛ ما إن تمدد حتى انطلقت تلك الإبر في أنحاء الغرفة، الملايين منها، على الحائط وعلى الخزانة وحتى حديد الكرسي استطاعت اختراقه، ليست إبر عادية وإلا فكيف لإبرة أن تثقب الحديد والعظم واللحم، لم يبق ميليمتر واحد في جسدانا إلا ومرت فيه إبرة. لا أستطيع وصف الحادث لك، عليك أن ترى بنفسك الغرفة التي أصبحت كظهر قنفذ وجثتان في المنتصف لا ترى جلدهما من كثرة الدم.

***

انتهينا من قصة الضحايا الخمسة عشر وأظنكم متعجبون حول الضحية العاشرة، العلاقة بين عمي وأبي ليست جيدة لذالك لا

يتزاوران ولم أرد فتح هذا الموضوع بذكري لقصتي مع ابن عمي لكنه أصبح ضحية بسببي ووجب جعل قصته على كل لسان. بعد الانتهاء من هذه التحقيقات خلال سبعة أيام تم عقد اجتماع لتقرير من سيسافر ومن سيبقى؛ أخي يترأس هذا الاجتماع ولا أحد يعلم صلة القرابة بيني وبينه لأن شخصية الرئيس يجب أن تبقى مبهمة. هناك أربعة بلدان حصلت فيها الجريمة (أمريكا – مصر – المغرب – كوريا الجنوبية) (صوفيا -أحمد – هند وفاطمة – شذى) كل بلد سيذهب إليه ثلاثة أشخاص متخصصون في لغته؛ أنا سأذهب مع أحمد، وشخص آخر نلتقيه عند وصولنا. المهم أني سأسافر بعد يوم إلى مصر بحكم أني زرتها من قبل ولدي رغبة في لقاء الضابط مجددا. بعد الاجتماع استدعاني الرئيس إلى مكتبه؛ غرفة واسعة بها خزانتان مملوءتان بالأوراق وحاسوب موضوع على الطاولة؛ دخلت بخطى متثاقلة أرمق الموجودات بطرف عيني إلى أن وصلت للكرسي فجلست؛ نظر إلي قليلا وشهق ثم زفر وقال:

-أنت تعرف شيئا لا يعرفه أي أحد وهو أني أخوك؛ لذالك ربما خمنت أن هناك أسرارا أخرى لا يعلمها أحد.

-مثل لماذا تصر على التحقيق رغم النتائج التي تتحدى المنطق.

-أنا رئيس استخبارات وعلي المواصلة حتى النهاية؛ ثم إنني أعرف سبب موتهم؛ أشخاص لا تربطهم أية صلة سوى مجموعة واحدة؛ "المعرفة" هي من جعلتهم يدفعون الثمن. ألا توافقني الرأي؟

إنه يختبرني، أقسم على هذا، نظراته توحي أنه يعرف الكثير والكثير. أجبته وأنا أتحاشى نظراته:

-لا يمكنني الجزم من خلال هذه المعطيات البسيطة. لماذا لم تخبر العملاء باستنتاجاتك حتى الآن؟

-بعض الأسرار يجب أن تبقى مبهمة حتى يحين الوقت؛ بالمناسبة هناك سر أود اطلاعك عليه؛ أعلم أن أحمد حكى لك عن موهبة كل عميل.

ابتلعت لساني؛ إنه يراقب كل صغيرة وكبيرة. وينظر لساعته كل دقيقة كي لا تفوته ثانية واحدة.

-لا تتعجب فنحن نضع أجهزة تنصت على كل شخص دون أن يشعر؛ -نعود لكلامنا-؛ كل عميل لديه موهبة ولد بها أو اكتسبها، حنان وأحمد وخليلة وعبد الجليل والآخرون؛ وهذه الموهبة تعد

من أسرار العمل يجب أن لا يعلم بها أحد سوى الزملاء. وهنا أردت إخبارك عن موهبة عبد الجليل.

-رحمه الله

-يستطيع إيقاف قلبه لساعات دون أن يدرك أحد.

***

مركز المخابرات الأمريكية (:C.I.A)

مقر في حضن أحد جبال واشنطن لا يعلم بأمره أحد فهو مخبئ ومحصن جيدا؛ هذه طبيعة عملنا يحتاج السرية التامة ولن أصف لكم أكثر من هذا. المهم أنه أتانا طلب تحقيق من السلطات في قضية اختراق نظام الدفاع وقتل أتباعنا في عصابة B.Mولازلنا نتتبع الفاعل إلى حد الساعة. هكر خارق اخترق النظام في خمس دقائق؛ الأمر يحتاج لخبرة كبيرة وأياما من العمل. خمس دقائق؟! لا أستطيع تصديق الأمر وكذا زملائي ظنوا الأمر مزحة لكنه أمر سلطات! بدأنا التحقيق انطلاقا من مقر الجيش وحواسيبهم وصولا إلى موقع سقوط الصاروخ بتمنراست. التحقيقات تقترب من النجاح بفضل المعلومات التي أدلاها لنا أعضاء العصابة

الناجون؛ قالوا لنا إنه فتى يدعى العباس يسكن في ولاية أدرار-فتى ويفعل كل هذا! - لكن لا يعرفون لقبه. تتبعنا الولاية كلها ومن حديث الناس علمنا أين يسكن لكننا لم نجده بحكم أنه سافر مع صديق له؛ ودون أن نطلب أعطونا بطاقة تعريف تركها عندهم؛ اسمه عبد الجليل وينحدر من ولاية – غرداية -. اتصلنا برفقائنا هناك ليؤكدوا لنا أنه في رحلة عمل كما أخبر عائلته. ما تنفك تنحل عقدة حتى تعقد واحدة جديدة. سنضع المنزل تحت المراقبة مؤقتا.

نسيت إخباركم أن رئيسنا أصبح غريب الأطوار منذ أيام؛ بالضبط منذ مقتل الفتاة صوفيا. أصبح يقول كلاما وينكره لاحقا؛ أحيانا يخيفك بنظراته كأنه الموت ويعرف ما تود قوله قبل أن تقوله وأحيانا تراه حملا وديعا؛ يأتي إلى العمل في أوقات استراحته وينكر أنه أتى. باختصار أصبح غريب الأطوار لحد الجنون. مرة قال لنا بالحرف الواحد:

-خمس دقائق يقدر عليها شخص واحد وهو الثولدن.

نظرات الدهشة بدت علينا؛ هذا الكلام لا يقوله عاقل، كيف يصدّق أسطورة طفولية كتلك؟. لم يعرنا اهتماما وأكمل كلامه:

-هذا هو التفسير الوحيد لطفل يفعل كل هذا. ان كان ڤولدنا حقا فسنكون في مأزق حقيقي ان رأيناه.

أجبته مقاطعا:

-سيدي! يعني أننا سنكون قرابين كما تقول الأسطورة.

-تماما! تلك الخمسة عشر ضحية عرفت ودفعت ثمن المعرفة لكن نحن سنقتله مباشرة عندما نراه.

-لو صحت نظريتك يا سيدي فهو ميت الآن لأن الخمسة عشر انتهت.

- لا أدري؛ هذا هو السؤال الذي لم أجد جوابه.

***

اتسعت عيناي وانفتح فمي كالأبله متعجبا وأردف هو دون أن يعير اهتماما:

-جميع العملاء يظنونه ميتا إلا أنا ونائبي، فقبل الجنازة بساعة قمنا بوضع دمية مكانه.

-كما يحدث في الأفلام!

-كما يحدث في الأفلام تماما. ثم أرسلته لمهمة سرية في مصر وقد أتمها على أكمل وجه؛ ستلتقون به عند ذهابكم.

-ماذا عن خطيبته حنان؟ هل علم ما حصل لها؟

-نعم؛ لكنه استجمع نفسه بعد يومين ورغم هذا ستجد جرحه مفتوحا.

لم أبدأ طرح أسئلتي العالقة في ذهني منذ زمن حتى دق أحدهم الباب ثم قال بصوت قلق:

-سيدي! عليك الحضور إلى غرفة العمليات فهناك خبر مهم عليك الاطلاع عليه.

خرجنا من المكتب متجهين نحو اجتماع العملاء. غرفة أبعادها تسعة على عشرة مليئة بالحواسيب وهناك شاشة كبيرة ملصقة على الجدار يشاهدون فيها آخر المستجدات. وقف الرئيس واضعا يديه خلف ظهره وقال:

-تكلم أيها النائب. ما هو الخبر المهم كي تطلبوني من مكتبي؟

(أقول لكم أن الغرفة تمتلئ شيئا فشيئا فتسألونني بم؟ فأعود لأقول: رأس تنين – عنقاء – هيكل عظمي يلبس رداء أسود – غول – مسخ قبيح الشكل. إن عددهم يزداد وكلهم ينظرون نحوي بضحكة تقطر رعبا...)

تنهد النائب قليلا ثم قال:

" مرة أخرى اغتيل خمسة عشر شخصا. منهم عميلنا أحمد "

.....

***

"لا تدع شيئا ينسيك شيئا آخر"

باسم

***

"أؤمن أن في كل فراق خير، لكن نفوسنا تأبى فهم هذا لأنها فطرت على فقيدها.ألفته. اعتادت عليه. رأت فيه الشيء الذي كان ينقصها فأبت فهم هذا. ولا زالت تأبى ".

***

يتبع...